كتب ثقافية

من التراث القديم

٤

المحاسن والأضداد

بقلم

امام الأدب

أبى عثمان الجاحظ

الجزء الأول

الكتاب العاشر

كتب ثقافية
من التراث القديم
٤

المحاسن والأضداد

الجزء الأول

مطبوعات الدار القومية للطباعة والنشر

الاشتراك السنوى (٥٢ عددا)

	فى الاقليم المصرى	فى الاقليم السورى	فى المملكة السعودية	فى لبنان	فى العراق	فى الأردن	فى الكويت	فى السودان
كتب سياسية	١٥٠ قرشا	٢٥٠٠ قرشا	١٠٠٠ قرشا	٢٥٠٠ قرشا	٢٥٠٠ فلسا	٢٥٠٠ فلسا	٧٥ آنة	١٥٠ قرشا
كتب قومية	١٠٠ ،،	١٧٠٠ ،،	٦٦٥ ،،	١٧٠٠ ،،	١٧٠٠ ،،	١٧٠٠ ،،	٥٠ ،،	١٠٠ ،،
كتب ثقافية	٢٥٠ ،،	٤٢٠٠ ،،	١٦٦٥ ،،	٤٢٠٠ ،،	٤٢٠٠ ،،	٤٢٠٠ ،،	١٢٥ ،،	٢٥٠ ،،
روايات عالمية	١٥٠ ،،	٢٥٠٠ ،،	١٠٠٠ ،،	٢٥٠٠ ،،	٢٥٠٠ ،،	٢٥٠٠ ،،	٧٥ ،،	١٥٠ ،،

ترسل الاشتراكات بعنوان : الدار القومية للطباعة والنشر
٢ شارع طلعت حرب بالقاهرة

كتب سياسية

تقـــدم



مع الباعة فى كل مكان

الثمن ٣ قروش

كتب قومية

تقـــدم

مع المجتمع
الديموقراطى الاشتراكى التعاونى

بقلم الكاتب العراقى
غالب عبد الرزاق

الثمن ٢ قرشان
يطلب من الباعة والمكتبات

مقدمة

ابو عثمان بن بحر الجاحظ امام من ائمة الادب العربي ، وكاتب من أعلام الكتاب العرب ، قدم للادب العربى الروائع الشامخة ، وكتب باسلوبه البديع عددا من الكتب والرسائل تعتبر من أعمدة أدبنا العربى ٠

ويتميز الجاحظ بالجمع بين أسلوبى العلم والادب داخل اطار واحد ٠ فانت تراه فى كتاب الحيوان عالما أديبا ، وانت تراه في كتاب البيان والتبيين أديبا عالما ٠

وليس من شك في أن أبا عثمان يعتبر من أكتب كتابنا خلال جميع الاجيال ، وهو فى أسلوبه قمة من قمم البلاغة العربية التى لا تذبل أبدا ٠

انه لا يصطنع المحسنات اللفظية ، أو الأساليب المصطنعة ، ولكنه يكتب بقلمه المبدع أروع الاوصاف، وأجمل التعبيرات، وأقوى اللذعات ٠

والجاحظ كاتب ساخر ضاحك ، وهو اول كاتب ابتدع فن الكاريكاتير فى كتاباته ، وأنت حين تقرأ رسالته «التربيع والتدوير » تدرك كيف استطاع رسم الشخصيةبقلمه الساخر البديع رسما كاريكاتوريا لاذعا ٠

ونحن نقدم للقارىء العربى درة من درر هذا الكاتب العملاق ، هى كتابه « المحاسن والاضداد » الذى جمع فيه من ضروب الفكر والادب ألوانا شتي ٠ وهو ينقلك من الشيء الى ضده في لمحة خاطفة ، وفى براعة فائقة ٠

وهذا الكتاب قد يقرأه القارىء مرات فلا يمل قراءته ، بل يعود اليه وتلك من ميزات أبى عثمان فى براعته وانطلاقه وقدرته على التصوير والتعبير ٠

وان هذه المجموعة من الكتب الثقافية حين تقدم أبا عثمان الجاحظ الى القارىء العربى ، انما يشرفها أن تقدم قمة عالية من قمم الادب ، ودرة يتيمة من درره ، ففي كل كلمة من هذا الكتاب حكمة ، وفى كل سطر لمحة ، وفى كل صفحة رائعة .

ان كتاب (المحاسن والاضداد) أول كتاب من نوعه فى الادب العربى ، وقد قلده كثيرون من الكتاب الذين جاءوا بعد الجاحظ ، فلم يدرك كاتب منه ، ما أدركه أبو عثمان من سمو الاسلوب ، وروعة البيان ، والقدرة على جمع الاخبار والنوادر والقصص داخل اطار من الفن الانسانى الرفيع .

واذا كانت أساليب الكتاب تتفاوت ، فان أسلوب الجاحظ كالدرر التى يغوص من اجلها في محيط الحياة ليخرجها للناس ، حتى اذا ما سلكها فى عقد واحد تلالأت ، وسطعت ، كلمات ناصعة ، وصفحات مشرقة .

انني أرجو أن يجد القارىء فى هذا الكتاب ما وجده آلاف القراء الذين افادوا منه ، وأثر فى حياتهم الادبية والثقافية منذ كتبه صاحبه حتى اليوم .

عبد المنعم شميس

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الاعانة

الحمد لله رب العالمين • وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله أجمعين •

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله : انى ربما ألفت الكتاب المحكم المتقن فى الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والاحكام وسائر فنون الحكمة وأنسبه الى نفسى ، فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من أهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته وفصاحته ، وأكثر ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفا لملك معه المقدرة على التقديم والتأخير والحط والرفع والترهيب والترغيب فانهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الابل المغتلمه ، فان أمكنتهم الحيلة فى اسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذى ألف له فهو الذى قصدوه وأرادوه وان كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريرا نقابا ونقريسا بليغا وحاذقا فطنا وأعجزتهم الحيلة سرقوا معانى ذلك الكتاب وألفوا من أعراضه وحواشيه كتابا وأهدوه الى ملك آخر ومتوا اليه به وهم قد ذموه وثلبوه لما رأوه منسوبا الى وموسوما بى • وربما ألفت الكتاب الذى هو دونه فى معانيه وألفاظه فأترجمه باسم غيرى وأحيله على من تقدمنى عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابى ومن أشبه هؤلاء من مؤلفى الكتب فيأتينى أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذى كان احكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته على ويكتبونه بخطوطهم ويصيرونه اماما يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتأدبون به ويستعملون الفاظه ومعانيه فى كتبهم وخطاباتهم ويروونه عنى لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رياسة يأتم بهم قوم فيه ، لانه لم يترجم باسمى ولم

ينتسب الى تأليفى • وهذا كتاب وسمته (بالمحاسن والأضداد) لم أسبق الى نحلته ولم يسألنى أحد صنعه ابتدأته بذكر محاسن الكتابة والكتب وختمته فى ذكر شىء من محاسن الموت والله يكلؤه من حاسد اذا حسد •

١ - محاسن الكتابة والكتب

كانت العجم تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء أزدشير وبناء اصطخر وبناء المدائن والسدير والمدن والحصون ، ثم ان العرب شاركت العجم فى البنيان وتفردت بالكتب والأخبار والشعر والآثار ، فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مأرب وقصر مارد وقصر شعوب والأبلق الفرد وغير ذلك من البنيان ، وتصنيف الكتب أشد تقييدا للمآثر على ممر الايام والدهور من البنيان ، لان البناء لا محالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باق من قرن الى قرن ومن أمة الى أمة فهو أبدا جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ فى تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير • وكانت العجم تجعل الكتاب فى الصخور ونقشا فى الحجارة وخلقة مركبة فى البنيان ، فربما كان الكتاب هو الناتىء وربما كان هو المحفور اذا كان تاريخا لأمر جسيم أو عهدا لأمر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو إحياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى ركن المشقر وعلى الأبلق الفرد وعلى باب الرها • يعمدون الى المواضع المشهورة والاماكن المذكورة فيضعون الخط فى أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراه من مر به ولا ينسى على وجه الدهور • ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ، ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار ولو لم يتم

ذلك لحرمنا أكثر النفع ، ولولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها ، وخلدت من عجيب حكمتها ، ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد بخس حظنا منه وأهل العلم والنظر وأصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج الملل وأرباب النحل وورثة الانبياء وأعوان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والصلحاء وكتب الملاهي وكتب أعوان الصلحاء وكتب أصحاب المراء والخصومات وكتب السخفاء وحمية الجاهلية ، ومنهم من يفرط في العلم أيام خموله وترك ذكره وحداثة سنه ، ولولا جياد الكتب وحسانها لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ونازعت الى حب الكتب والفت من حال الجهل وان يكونوا في غمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ما عسى أن يكون لايمكن الاخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير ، وسمعت محمد بن الجهم يقول اذا غشيني النعاس في غير وقت النوم تناولت كتابا فأجد اهتزازي للفوائد الاريحية التي تعتريني من سرور الاستنباه وعز التبين أشد ايقاظا من نهيق الحمار وهدة الهدم فانى اذا استحسنت كتابا واستجدته ورجوت فائدته لم أوثر عليه عوضا ولم أبغ به بدلا فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقى من ورقة مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله . وقال ابن داحة كان عبد الله ابن عبد العزيز ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكان لا يزال في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة . وأهدى بعض الكتاب الى صديق له دفترا وكتب معه : هديتي هذه أعزك الله تزكو على الانفاق وتربو على الكد لا تفسدها العوارى ولا تخلقها كثرة التقليب وهي أنس في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس في الخلوة وتمتع من الوحدة مسامر مساعد ومحدث مطواع ونديم صدق ، وقال بعض الحكماء الكتب

ببساتين العلماء ، وقال آخر : الكتاب جليس لا مؤنة له ، وقال آخر : الكتاب جليس بلا مؤنة ، وقال آخر : ذهبت المكارم الا من الكتب .

قال الجاحظ : وأنا أحفظ وأقول : الكتاب نعم الذخر والعقدة والجليس والعمدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل . والكتاب وعاء ملىء علما وظرف حشي ظرفا واناء شحن مزاحا ان شئت كان أعيا من باقل ، وان شئت كان أبلغ من سحبان وائل ، وان شئت سرتك نوادره وشجتك مواعظه ومن لك بواعظ مله وبناسك فاتك وناطق أخرس ، ومن لك بطبيب اعرابي وروميِ هندي وفارسي يوناني ونديم مولد ونجيب ممتع ، ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده . وبعد فما رأيت بستانا يحمل في ردن وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء ، ومن لك بمؤنس لاينام الا بنومك ولاينطق الا بما تهوى آمن من الأرض وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جارا آمن ولا خليطا أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية وعناية ولا أقل املالا ولا ابراما ولا أبعد من مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد في جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ، ولا اعم بيانا ولا أحسن مؤاتاة ولا أعجل مكافأة ولا شجرة أطول عمرا ولا أطيب ثمرا ولا أقرب مجتنى ولا أسرع ادراكا ولا أوجد في كل ابان من كتاب ، ولا أعلم نتاجا في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وامكان وجوده يجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الاذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب

الحكيمة والاخبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والأمثال السائرة والأمم البائدة ما يجمعه كتاب · ومن لك بزائر ان شئت كانت زيارته غبا ووروده خمسا ، وان شئت لزمك لزوم ظلك وكان منك كبعضك · والكتاب هو الجليس الذى لا يطريك والصديق الذى لا يقليك والرفيق الذى لا يملك والمستمع الذى لايستزيدك والجار الذى لايستبطئك والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق · والكتاب هو الذى ان نظرت فيه أطال امتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بيانك وفخم ألفاظك وبجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفى السفر طاعته فى الحضر وهو المعلم ان افتقرت اليه لم يحقرك وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وان عزلت لم يدع طاعتك وان هبت ريح أعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقا منه بأدنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء وان أمثل ما يقطع به الفراغ نهارهم وأصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر فى كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد فى تجربة وعقل ومروءة وصون عرض واصلاح دين وتثمير مال ورب صنيعة وابتداء انعام · ولو لم يكن من فضله عليك واحسانه اليك الا منعة لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك مع ما فى ذلك من التعرض للحقوق التى تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور ألفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الردية وجهالتهم المذمومة لكان فى ذلك السلامة والغنيمة واحراز الأصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن فى ذلك الا أنه يشغلك عن سخف المنى واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه لقد كان له فى ذلك على صاحبه أسبغ النعم وأعظم المنة · وجملة الكتاب وان كثر ورقه فليس مما يمل لأنه وان كان كتابا واحدا فانه كتب كثيرة فى خطابه والعلم بالشريعة

والاحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير . وقال مصعب بن الزبير : ان الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويكتبون أحسن ما يسمعون ، فاذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال فانك لا ترى ولا تسمع الا مختارا ولؤلؤا منظوما . وقال لقمان لابنه : يا بنى نافس فى طلب العلم فانه ميراث غير مسلوب ، وقرين غير مغلوب ، ونفيس حظ من الناس وفى الناس مطلوب . وقال الزهرى : الأدب ذكر لا يحبه الا الذكور من الرجال ولا يبغضه الا مؤنثهم ، وقال : اذا سمعت أدبا فاكتبه ولو فى حائط . وقال منصور بن المهدى للمأمون : أيحسن بنا طلب العلم والأدب قال : والله لأن أموت طالبا للأدب خير لى من أن أعيش قانعا بالجهل قال : فالى متى يحسن بى ذلك قال : ما حسنت الحياة بك .

(ضده)

الحديث المرفوع (رحم الله عبدا أصلح من لسانه) . وكان الوليد بن عبد الملك لحنة فدخل عليه اعرابى يوما فقال : أنصفنى من ختنى يا أمير المؤمنين فقال : ومن ختنك ؟ قال رجل من الحى لا أعرف اسمه ، فقال عمر بن عبد العزيز : ان أمير المؤمنين يقول لك من ختنك ؟ فقال هو ذا بالباب فقال الوليد لعمر ما هذا ؟ قال النحو الذى كنت أخبرتك عنه ، قال لا جرم فانى لا أصلى بالناس حتى أتعلمه ، قال وسمع اعرابى مؤذنا يقول : أشهد أن محمدا رسول الله فقال يفعل ماذا ؟ وقال رجل لزيادة : أيها الامير ان أبينا هلك وان أخينا غصبنا على ميراثنا من أبينا فقال زياد ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من ميراث أبيك فلا رحم الله أباك حيث ترك إبنا مثلك . قال واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز

فجعلا يلحنان فقال الحاجب : قما فقد أوذيتما أمير المؤمنين ، فقال عمر للحاجب : أنت والله أشد ايذاء منهما ٠
قال وقال بشر المريسى وكان كثير اللحن : قضى لكم الامير على أحسن الوجوه وأهنؤها ، فقال القاسم التمار : هذا على قوله :

ان سليمى والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر ، قال وكان زياد النبطى شديد اللكنة وكان نحويا فدعا غلامه ثلاثا فلما أجابه قال : من لدن دأءتك الى أن ديتنى ما كنت تصنأ ، يريد دعوتك وجئتنى وتصنع ، ومر ماسرجويه الطبيب بمعاذ بن مسلم فقال : يا ماسر جويه انى لأجد فى حلقى نجحا قال هو من عمل بلغم ٠ فلما جاوزه قال : ترانى لا أحسن أن أقول بلغم ولكنه قال بالعربية فأجبته بضدها ٠

٢ ـ محاسن المخاطبات

حكوا عن ابن القرية ، أنه دخل على عبد الملك بن مروان فبينا هو عنده اذ دخل بنو عبد الملك عليه فقال : من هؤلاء الفتية يا أمير المؤمنين ؟ قال : ولد أمير المؤمنين ، قال : بارك الله لك فيهم كما بارك لأبيك فيك وبارك لهم فيك كما بارك لك فى أبيك ، قال : فشحن فاه درا ، قال وقال عمارة بن حمزة لأبى العباس وقد أمر له بجوهر نفيس : وصلك الله يا أمير المؤمنين وبرك فو الله لئن أردنا شكرك على انعامك ليقصرن شكرنا عن نعمتك كما قصر الله بنا عن منزلتك ٠ قيل ودخل اسحاق بن ابراهيم الموصلى على الرشيد فقال : مالك ؟ قال :

سنسواهي مسـوام المـكثرين تجمـلا
ومـالى كمـا قـد تعلمين قليـل

وآمرة بالبخـل قلت لهـا اقصرى
فـذلك شيء مـا اليـه سـبيل

وكيف أخاف الفقـر أو أحـرم الغنى
ورأى أميـر المؤمنـين جميـل

أرى النـاس خلان الجـواد ولا أرى
بخيـلا له فى العـالمين خليـل

فقال الرشيد : هذا والله الشعر الذى صحت معانيه وقويت أركانه ومبانيه ولذ على أفواه القائلين وأسماع السامعين يا غلام احمل اليه خمسين ألف درهم ، قال اسحاق يا أمير المؤمنين كيف أقبل صلتك وقد مدحت شعرى بأكثر مما مدحتك به ؟ قال الأصمعى : فعلمت أنه أصيد للدراهم منى . قال ودخل المأمون ذات يوم الديوان فنظر الى غلام جميـل على أذنه قلم فقال : من أنت ؟ قال : أنا الناشيء فى دولتك المتقلب فى نعمتك المؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء ، فقال المأمون : بالاحسـان فى البديهة تتفاضل العقول يرفع عن مرتبة الديوان الى مراتب الخاصة ويعطى مائة الف درهم تقوية له ، قال : ووصف يحيى ابن خالد الفضل بن سهل وهو غلام على المجوسية للرشـيد وذكر أدبه وحسن معرفته فعمل على ضمه الى المأمون فقـال ليحيى يوما أدخل هذا الغلام المجوسى حتى أنظر اليه فأوصـله فلما مثل بين يديه ووقف تحير فأراد الكلام فارتج عليه فأدركته كبوة فنظر الرشيد الى يحيى نظرة منكرة لما كان تقـدم من تفريظه اياه فانبعث الفضل بن سهل فقال : يا أمير المؤمنين ان من أبين الدلائل على فراهة المملوك شدة افراط هيبته لسـيده فقال له الرشيد : أحسنت والله لئن كان سكوتك لتقول هذا انه لحسن ولئن كان شيئا أدركك عند انقطاعك انه لأحسـن

وأحسن ثم جعل لا يسأله عن شيء الا رآه فيه مقلما نفضه الى المأمون ، قال : وقال الفضل بن سهل للمأمون وقد سأله حاجة لبعض أهل بيوتات دهاقين سمرقند كان وعده تعجيل انقاذها فتأخر ذلك : هب لوعدك مذكرا من نفسك وهنيء سائلك حلاوة نعمتك واجعل ميلك الى ذلك فى الكرم حثا على اصطفاء شكر الطالبين تشهد لك القلوب بحقائق الكرم والألسن بنهاية الجود ، فقال : قد جعلت اليك اجابة سؤالى عنى بما ترى فيهم وآخذك فى التقصير فيما يلزم لهم من غير استثمار أو معاودة فى اخراج الصكاك من أحضر الأموال متناولا قال اذا لا تجدى معرفتى بما يجب لأمير المؤمنين الهناء به بما يديم له منهم حسن الثناء ويستمد بدعائهم طول البقاء .

وقال الفضل بن سهل للمأمون : يا أمير المؤمنين اجعل نعمتك صائنة لوجوه خدمك عن اراقة مائها فى غضاضة السؤال فقال والله لا كان ذلك الا كذلك . قال ودخل العتابى على المأمون فقال : خبرت بوفاتك فغمتنى ثم جاءتنى وفادتك فسرتنى فقال يا أمير المؤمنين كيف أمدحك أم بماذا أصفك ولا دين الا بك ولا دنيا الا معك ؟ قال سلنى ما بدالك قال يداك بالعطية أطلق من لسانى بالمسالة . قال وقدم السعدى أبو وجزة على المهلب بن أبى صفرة فقال : أصلح الله الامير انى قد قطعت اليك الدهناء وضربت اليك آباط الابل من يثرب قال : فهل أتيتنا بوسيلة أو عشرة أو قرابة ؟ قال : لا ، ولكنى رأيتك لحاجتى أهلا فان قمت بها فأهل ذلك وان يحل دونها حائل لم أذمم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب يعطى ما فى بيت المال فوجد مائة ألف درهم فدفعت اليه فأخذها وقال :

يا من على الجود صاغ الله راحته
فليس يحسن غير البذل والجود

عمت عطاياك من بالشرق قاطبة
فأنت والجود منحوتان من عود

وقد يجب على العاقل الراغب في الأدب أن يحفظ هذه المخاطبات ويدمن قراءتها ، وقد قال الأصمعى :

أما لو أعى كل ما أسمع ... وأحفظ من ذاك ما اجمع
ولم أستفد غير ما قد جمعت ... لقيل أنا العالم المقنع
ولكن نفسى الى كل شيء ... من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ... ولا أنا من جمعه أشبع
وأقعد للجهل فى مجلس ... وعلمى في الكتب مستودع
ومن يك في علمه هكذا ... يكن دهره القهقرى يرجع
يضيع من المال ما قد جمعت ... وعلمك فى الكتب مستودع
اذا لم تكن حافظا واعيا ... فجمعك للكتب ما ينفع

وقال بعضهم : الحفظ مع الاقلال أمكن وهو مع الاكثار أبعد وتغيير الطبائع زمن رطوبة الغصن أقبل ، وفيها قال الشاعر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وقيل : العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر والعلم فى الكبر كالعلامة على المدر .. فسمع ذلك الأحنف فقال الكبير أكثر عقلا ولكنه أكثر شغلا كما قال :

وان من أدبته في الصبى ... كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا ... بعد الذى أبصرت من يبسه

والصبى عن الصبى أفهم وهو له آلف ، واليه أنزع . وكذلك العالم عن العالم والجاهل عن الجاهل ، وقال الله تعالى : (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) لأن الانسان عن الانسان أفهم وطباعه بطباعه آنس .

(ضده)

قال : دخل أبو علقمة على أعين الطبيب فقال : انى أكلت

من لحوم الجوازىء وطسئت طســـاة فاصابنى وجع بين الوابلة الى دأية العنـــق فلم يزل يربو وينمـــو حتى خالط الشراسيف فهل عندك دواء ؟ قال نعم خذ خوفقـا وسربقـــا ورقرقا فاغسله واشربه بماء فقال لا أدرى ما تقول قال ولا أنا دريت ما قلت • قال وقال يوما آخر انى أجد معممة فى قلبى وقرقرة فى صدرى فقال له أما المعمعة فلا أعرفها وأما القرقرة فهى ضراط غير نضيج • قال وأتى رجل الهيثم بن العـــريان بغريم له قد مطله حقه فقال أصلح الله الأمير ان لى على هـذا حقا قد غلبنى عليه فقال له الآخر أصلحك الله ان هذا باعنى عنجدا واستنسأته حولا وشرطت عليه أن أعطيه مياومة فهـو لا يلقانى فى لقم الا اقتضانى ذهبا فقال له الهيثم أمن بنى أمية أنت ؟ قال لا ، قال أفمن بنى هاشم أنت ؟ قال لا ، قال أفمن أكفائهم من العرب ؟ قال لا ، قال ويلى عليــك إنزعوا ثيابه فلما أرادوا أن ينزعوا ثيابه قال أصلحك الله ان ازارى مرعبل قال دعوه فلو ترك الغريب فى موضع لتركه فى هذا الموضع • قال ومر أبو علقمة ببعض الطرق فهاجت به مرة فوثب عليـــه قوم فجعلوا يعصرون ابهـــامه ثم يؤذنون فى أذنه فأفلت من أيديهم فقال ما لكم تتكأكأون على تكأكؤكم على ذى جنة افرنقعوا عنى فقال رجل منهم دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية • قال وقال لحجام يحجمه اشدد قصب الملازم وارهف ظبة المشارط وخفف الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تكرهن أبيا ولا تردن أتيا فوضع الحجام محاجمه فى جونته وانصرف •

٣ ـ محاسن المكاتبات

قال كعب العبسى لعروة بن الزبير : قد أذنبت ذنبـــا الى الوليد بن عبد الملك وليس يزيل غضبه شىء فاكتب لى اليـــه فكتب اليه : لو لم يكن لكعب من قديم حرمته ما يغفر له عظيم

جريرته لوجب ألا تحـــرمه التفيؤ بظل عفوك الذى تأمله القلوب ولا تعلق به الذنوب وقد استشفع بى اليك فوثقت له منك بعفو لا يخالطه سخط فحقق أمله وصدق ثقتى بك تجـد الشكر وافيا بالنعمة • فكتب اليه الوليد : قد شـكرت رغبته اليك وعفوت عنه لمعوله عليك وله عندى ما يحب فلا تقطع كتبك عنى فى أمثاله وفى سائر أمورك • وكتب عبد الله بن معـاوية ابن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه : أما بعد ، فقد عاقنى الشك عن عزيمة الرأى ، ابتدأتنى بلطف من غير خبرة ثم أعقبتنى جفـاء من غير ذنب فأطمعنى أولك فى احسـانك وأيأسيني آخرك من وفائك فلا أنا فى غير الرجاء مجمـع لك اطراحا ولا فى غد أنتظره منك على ثقة فسبحان من لو شـاء كشف ايضاح الرأى فيك فأقمنا على ائتلاف أو افترقنـا على اختلاف • قال وسـخط مسلمة بن عبد الملك على العـريان بن الهيثم فعزله عن شرطة الكوفة فشكا ذلك الى عمر بن عبدالعزيز فكتب اليه : ان من حفظ أنعم الله رعاية ذوى الاسـنان ومن اظهار شكر الموهوب صفح القادر عن الذنب ومن تمام السؤدد حفظ الودائع واستتمام الصنائع وقد كنت أودعت العـريان نعمة من أنعمك فسلبتها عجلة سخطك وما أنصفته غضـبته ، على أن أوليته ثم عزلته وخليته وأنا شفيعه فأحب أن تجعل له من قلبك نصيبه ولا تخرجه من حسن رأيك فتضـيع ما أودعته وتتوى (١) ما أفسدته •• فعفـا عنـه ورده الى عمله • قال وغضب سليمان بن عبد الملك على ابن عبيد مولاه فشـكاه الى سعيد بن المسيب ذلك فكتب اليه : أما بعد ، فان أمير المؤمنين فى الموضع الذى يرتفع قدره عما تقتضيه رعيته وفى عفو أمير المؤمنين سعة للمسيئين •• فرضى عنه • قال وطلب العتـابى من رجل حاجة فقضى له بعضها ومطله ببعض فكتب اليـه :

---

(١) التواء الهلاك

أما بعد فقد تركتنى منتظرا لوعدك منتجزا لرفدك وصاحب الحاجة محتاج الى نعم هنيئة أو لا مريحةوالعذر الجميل احسن من المطل الطويل • وقد قلت بيتى شعر :

بسـطت لســـانى ثم أوثقت نصـــفه
فنصف لســـانى بامتـــداحك مطلق

فان أنت لم تنجـــز عـــداتى تركتنى
وباقى لســـان الشـــكر باليأس موثق

قال : وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون فى رجل من بنى ضبة يستشفع له بالزيادة فى منزلته وجعل كتابه تعريضـا : أما بعد ، فقد استشفع بى فلان يا أمير المؤمنـين لتطولك على فى الحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يرتزقون به وأعلمتـه أن أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه بذلك تعدى طاعته والسلام • فكتب اليه المأمون : قد عرفنـا تصريحك له وتعريضـك لنفســك وأجبنـاك اليهما ووقفناك عليهما • قال وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون كتابا يستعطفه على الجند : كتابى الى أمير المؤمنين ومن قبلى من أجناده وقواده فى الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم ، فقال المأمون : والله لأقضـين حق هذا الكلام وأمر باعطائهم لثمانية أشهر • قال وقدم رجـــل من أبناء دهاقين قريش على المأمون لعدة سلفت منه فطال على الرجل انتظار خروج أمر المأمون فقال لعمرو بن مسعدة توصل فى رقعة منى الى أمير المؤمنين تكون أنت الذى تكتبها تكون لك على نعمتان فكتب : ان رأى أمير المؤمنين أن يفك أسر عبده من ربقة المطل بقضاء حاجته ويأذن له فى الانصراف الى بلده فعل ان شاء الله ، فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمرا فجعل يعجبه من حسن لفظها وايجاز مرادها فقال عمرو فما نتيجتها يا أمير المؤمنين ؟ قال الكتاب له فى هذا الوقت بما وعدناه لئلا يتأخر

لفضل استحساننا كلامه وبجائزة مائة ألف درهم صـــلة عن دناءة المطل وسماجة الاغفال ففعل ذلك له • وحدثنا اسماعيل ابن أبى شاكر قال : لما أصاب أهل مكة السيل الذى شارف الحجر ومات تحته خلق كثير كتب عبيد الله بن الحسن العلوى وهو والى الحرمين الى المأمون : ان أهل حرم الله وجيران بيته وألاف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعز معروفك من سيل تراكمت أخرياته فى هدم البنيان وقتل الرجال والنســوان واجتياح الاصول وجرف الابقال حتى ما ترك طارفا ولا تالدا للراجع اليهما فى مطمع ولا ملبس فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الامهات والاولاد والآباء والاجـداد فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم واحسانك اليهم تجـــد الله مكافئك عنهم ومثيبك عز الشكر منهم • قال فوجه اليهم المأمون بالاموال الكثيرة وكتب الى عبيد الله : أما بعد فقـــد وصلت شكيتك لأهل حرم الله أمير المؤمنين فبكاهم بقلب رحمته وأنجدهم بسبب نعمته وهو متبع ما أسلف اليهـــم بما يخلفه عليهم عاجلا وآجلا ان أذن الله فى تثبيت عزمه على صحة نيته • قال فصار كتابه هذا آنس لأهل مكه من الأموال التى أنفذها اليهم • وكتب جعفر بن محمد بن الأشعث الى يحيى بن خالد يستعفيه من العمل : شكرى لك على ما أريد الخروج منه شكر من سأل الدخول فيه • قال وكتب على بن هشـــام الى اسحاق بن ابراهيم الموصـلى : ما أدرى كيف أصـــنع أغيب فأشتاق وألتقى فلا أشتفى ثم يحدث لى اللقاء الذى طلبت منه الشفاء نوعا من الحرقة للوعة الفرقة • قال وكتب معقل الى أبى دلف فلان جميل الحال عند الكرام فان أنت لم ترتبطه بفضلك عليه فعل غيرك • وكتب أبو هاشم الحربى الى بعض الامراء : غرضى من الامير معوز والصـبر على الحرمان معجـز • وكتب آخر الى صديق له : أما بعد ، فقد أصبح لنا من فضـــل الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه وما ندرى ما نشـكر أجميـل

ما نشر أم كثير ما ستر أم عظيم ما أبلى أم كثير ما عفا غير أنه يلزمنا فى كل الامور شكره ويجب علينا حمده فاستزد الله فى حسن بلائه كشكرك على حسن آلائه ·

(ضده)

قال الجاحظ : كتب ابن المراكبى الى بعض ملوك بغداد : جعلت فداك برحمته · قال وقرأت على عنوان كتاب لأبى الحسن الشمرى : للموت لنا قبلة · وقرأت أيضا على عنوان كتاب : الى الذى كتب الى ·

٤ ـ محاسن الجواب

قال : دخل رجل على كسرى أبرويز ، فشكا اليه عاملا غصبه على ضيعة له ، فقال له كسرى : منذ كم هى فى يدك ؟ قال منذ أربعين سنة قال : فأنت تأكلها أربعين سنة ما عليك أن يأكل عاملى منها سنة واحدة فقال : وما كان على الملك أن يأكل بهرام جور الملك سنة واحدة ؟ فقال : ادفعوا فى قفاه فأخرجوه فلما خرج أمكنته التفاتة فقال : دخلت بمظلمة وخرجت باثنتين فقال كسرى : ردوه وأمر برد ضيعته وصيره فى خاصته · ويقال : ان سعيد بن مرة الكندى حين أتى معاوية قال له : أنت سعيد قال : أمير المؤمنين سعيد ، وأنا ابن مرة · قال : ودخل السيد بن أنس الأزدى على المأمون ، فقال : أنت السيد ؟ فقال : أنت السيد يا أمير المؤمنين ، وأنا ابن أنس · قال : وقيل للعباس بن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال هو عليه الصلاة والسلام أكبر مني وأنا ولدت قبله · قال : وقال الحجاج للمهلب أنا أطول أم أنت ؟ قال : الامير أطول وأنا أبسط قامة منه قيل : ووقف المهدي على امرأة من بنى نعل فقال لها : ممن

العجوز ؟ قالت من طيء • قال : ما منع طيئا أن يكون فيها آخر مثل حاتم قالت : الذى منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك وأعجب بقولها ووصلها ، قيل : ولما استوثق أمر العراق لعبد الله بن الزبير وجه مصعب اليه وفدا فلما قدموا عليه قال لهم : وددت أن لى بكل خمسة منكم رجلا من أهل الشام ، فقال رجل من أهل العراق : يا أمير المؤمنين علقناك وعلقت بأهل الشام وعلق أهل الشام بآل مروان ، فما أعرف لنا مثلا الا قول الأعشى :

علقتها عرضا وعلقت رجلا غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل

فما وجدنا جوابا أحسن من هذا • قال : وقال مسلمة بن عبد الملك : ما شيء يؤتى العبد بعد الايمان بالله تعالى أحب الى من جواب حاضر فان الجواب اذا انعقب لم يكن شيئا •

(ضـــده)

قال اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان ابن بدر وعمرو بن الأهتم فذكر عمرو الزبرقان قال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله انه اطعام جواد الكف مطاع فى أدانيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان : بأبى أنت وأمى يا رسول الله انه ليعرف منى أكثر من هذا ولكنه يحسدنى ، فقال عمرو : والله يا نبى الله ان هذا لزمر المروءة ضيق العطن لئيم العم أحمق الخال ، فرأى الكراهية فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ، فقال : يا رسول الله ما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الأخرى ولكنى رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكما) ، وذكروا أن الوليد بن عقبة

قال لعقيل بن أبى طالب : غلبك على الثروة والعدد • قال : وسبقنى واياك الى الجنة • قال الوليد : أما والله ان شدقيك لمتضمخان من دم عثمان ، قال عقيل : ما لك ولقريش ؟ وانما أنت فيهم كمنيح الميسر ، فقال الوليد : والله انى لأرى لو أن أهل الارض اشتركوا في قتله لوردوا صعودا ، فقال له عقيل: كلا أما ترغب عن صحبة أبيك • قال : وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان ما اسمك ؟ قال خالد بن صفوان ابن الأهتم ، قال : ان اسمك لكذب ما أنت بخالد وان أباك لصفوان وهو حجر وان جدك لأهتم والصحيح خير من الأهتم ، قال له خالد : من أى قريش أنت ؟ قال من عبد الدار بن قصى بن كلاب ، قال : لقد هشمتك هاشم وأمتك أمية وجمحت بك جمح وخزمتك مخزوم وأقصتك قصى فجعلتك عبد دارها تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا • قيل : ومر الفرزدق فرأى خليفة الشاعر فقال له : يا أبا فراس من القائل :

هو القين وابن القين لا قين مثله
لفطح المساحى أو لجدل الأداهم

قال الفرزدق : الذى يقول :

هو اللص وابن اللص لا لص مثله
لنقب جدار أو لطر الدراهم

٥ ـ محاسن حفظ اللسان

قال أكثم بن صيفى : مقتل الرجل بين فكيه ـ يعنى لسانه ـ وقال : رب قول أشد من صول ، وقال : لكل ساقطة لاقطة ، وقال المهلب لبنيه : اتقوا زلة اللسان فانى وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته ويزل لسانه فيكون فيه هلاكه • قال يونس بن عبيد : ليست خلة من خلال الخير تكون فى

الرجل هى أحرى أن تكون جامعة لانواع الخير كلهـا من حفظ اللسان • وقال قسامة بن زهير : يا معشر الناس ان كلامكم أكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر • وكان يقال : ينبغى للعاقل أن يحفظ لســانه كما يحفظ موضع قدمه ومن لم يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه، وقال الشاعر :

عليك حفظ اللسان مجتهدا فان جـل الهــلاك فى زلله

غيره :

وجرح السيف تأسوه فيبرأ وجرح الدهر ما جرح اللسان
جراحات الطعان لها التئـام ولا يلتام ما جرح اللســان

غيره :

احفظ لسانك لاتقول فتبتلى ان البــــلاء موكل بالمنطق

غيره :

لعمـرك ما شىء علمت مكانه أحق بسجن من لسان مذلل
على فيك مما ليس يعنيك قوله بقفل شديد حيث ما كنت فاقفل

قيل : تكلم أربعــة من الملوك بأربع كلمات كأنما رميت عن قوس واحد : قال كسرى : أنا على رد ما لم أقل أقدر منى على رد ما قلت • وقال ملك الهند : اذا تكلمت بكلمة ملكتنى وان كنت أملكها • وقال قيصر : لا أندم على ما لم أقل وقــد ندمت على ما قلت • وقال ملك الصين : عاقبة ما جرى به القول أشد من الندم على ترك القول • وقال بعضهم : من حصافة الانسان أن يكون الاستماع أحب اليه من النطق اذا وجد من يكفيه فانه لن يعدم الصمت والاســتماع سلامة وزيادة فى العلم • وقال بعض الحكماء : من قدر على أن يقول فيحسن فانه قادر على أن يصمت فيحسن • وقال بعضهم : كان ابن عبيدة الريحــانى المتكلم الفصيح صاحب التصانيف يقول : الصــــمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ المنطق وســلامة من فضــــول

القول • وقال أبو عبيد الله ، كاتب المهدى : كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام • وكان يقال : من سكت فسلم كان كمن قال فغنم • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله تعالى يكره الانبعاق فى الكلام يرحم الله امرأ أوجز فى كلامه واقتصر على حاجته) ، قيل : وكلم رجل سقراط عند قتله بكلام أطاله فقال : أنسانى أول كلامك طول عهده ، وفارق آخره فهمى لتفاوته ، ولما قدم ليقتل بكت امرأته فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت تقتل ظلما قال : وكنت تحبين أن أقتل حقا أو أقتل ظالما • وشتم رجل المهلب فلم يجبه فقيل له : حلمت عنه ، فقال : ما أعرف مساويه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه • وقال سلمة بن القاسم عن الزبير قال : حملت الى المتوكل وأدخلت عليه فقال : يا أبا عبد الله الزم أبا عبد الله - يعنى المعتز - حتى تعلمه من فقه المدنيين ، فأدخلت حجرة فاذا أنا بالمعتز قد أتي فى رجله نعل من ذهب وقد عثر به فسال دمه فجعل يغسل الدم ، ويقول :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه
وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

فعثرته من فيه ترمى برأسه
وعثرته بالرجل تبرا على مهل

فقلت فى نفسى : ضممت الى من أريد أن أتعلم منه •

(ضده)

سئل بعض الحكماء عن المنطق فقال : انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عبر به عن شيء فهو أفضل منه وسئل آخر عنهما فقال : أخزى الله المساكتة ما أفسدها للسان وأجلبها للعى ووالله للمماراة فى استخراج حق أهدم للعى من النار في يابس العرفج ، فقيل له : قد عرفت ما فى المماراة من

الذم ، فقال : ما فيها أقل ضررا من السكتة التي تورث عللا وتولد داء أيسره العي ، وقال بعض الحكماء : اللسان عضو فان مرنته مرن وان تركته حرن ، وممن أفرط في قوله فاستقيل بالحلم ، ما حكي عن شهرام المروزى فانه جرى بينه وبين أبي مسلم صاحب الدولة كلام فما زال أبو مسلم يحاوره الى أن قال له شهرام : يالقطة فصمت أبو مسلم وندم شهرام على ما سبق به لسانه وأقبل معتذرا خاضعا ومتنصلا ، فلما رأى ذلك أبو مسلم قال : لسان سبق ووهم أخطأ وانما الغضب شيطان والذنب لي ، لأني جرأتك على نفسي بطول احتمالي منك ، فان كنت معتمدا للذنب فقد شركتك فيه وان كنت مغلوبا فالعذر يسعك ، وقد غفرنا لك على كل حال ، قال شهرام : أيها الملك عفو مثلك لا يكون غرورا قال : أجل ، قال : وان عظيم ذنبي لن يدع قلبي يسكن ولج في الاعتذار ، فقال أبو مسلم : ياعجبا كنت تسيء وأنا أحسن ، فاذا أحسنت أسأت ٠

٦ ـ محاسن كتمان السر

قال : كان المنصور يقول: الملك يحتمل كل شيء من أصحابه الا ثلاثا افشاء السر والتعرض للحرم والقدح في الملك ، وكان يقول : سرك من دمك فانظر من تملكه ، وكان يقول : سرك لا تطلع عليه غيرك وان من أنفذ البصائر كتمان السر حتى يبرم المبروم ، وقيل لأبي مسلم : بأي شيء أدركت هذا الامر ؟ قال: ارتديت بالكتمان واتزرت بالحزم وحالفت الصبر وساعدت المقادير فأدركت طلبتي وحزت بغيتي ، وأنشد في ذلك :

ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت

عنه ملوك بني مروان اذ حشدوا

ما زلت أسعى عليهم في ديارهم

والقوم في ملكهم بالشام قد رقدوا

حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا من نومة لم ينمها قبلهم احد
ومن رعى غنما فى أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الاسد

قال : وقال عبد الملك بن مروان للشعبى لما دخل عليه :جنبنى خصالا أربعا : لا تطرينى فى وجهى ولا تجرين على كذبة ولا تغتابن عندى أحدا ولا تفشين لى سرا ٠ وقال النبى صلى الله عليه وسلم : (استعينوا على انجاح حوائجكم بكتمان السر فان كل ذى نعمة محسود) وأنشد اليزيدى فى ذلك :

النجم أقرب من سر اذا اشتملت
منى على السر أضـــلاع وأحشاء

غيره

ونفسك فاحفظها ولا تفش للعدى
من السر ما يطوى عليه ضـــميرها
فما يحفظ المكتوم من سر اهـــله
اذا عقـد الأسرار ضـــاع كثيرها
من القـــوم الا ذو عفـــاف يعينه
على ذاك منه صـــدق نفس وخيرها

قال معاوية بن أبى سفيان : أعنت على على بن أبى طالب بأربع خصال : كان رجلا ظهرة علنة لا يكتم سرا وكنت كتوما لسرى وكان لا يسعى حتى يفاجئه الامر مفاجأة وكنت أبادر الى ذلك وكان فى أخبث جند وأشدهم خلافا وكنت فى أطوع جند وأقلهم خلافا وكنت أحب الى قريش منه فنلت ما شئت فلله من جامع الى ومفرق عنه ٠ وكان يقال : لكاتم سره من كتمانه احدى فضيلتين: الظفر بحاجته والسلامة من شره ، فمن أحسن فليحمد الله وله المنة عليه ، ومن أساء فليستغفر الله ٠ وقال بعضهم : كتمانك سرك يعقبك السلامة وافشاؤك سرك يعقبك الندامة والصبر على كتمان السر أيسر من الندم على افشائه ٠ وقال بعضهم : ما أقبح بالانسان أن يخاف على ما فى يده من اللصوص فيخفيه ويمكن عدوه من نفسه باظهاره ما فى قلبه من سر نفسه وسر

أخيه ، ومن عجز عن تقويم أمره فلا يلومن الا نفسه ان لم يستقم له . وقال معاوية : ما أفشيت سرى الى أحد الا أعقبني طول الندم وشدة الاسف ولا أودعته جوانح صدرى فحكمته بين أضلاعى الا أكسبنى مجدا وذكراً وسناء ورفعة فقيل : ولا ابن العاص قال : ولا ابن العاص : وكان يقول : ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كتم سره كانت الخيرة فى يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وضع أمر أخيك على أحسنه ولا تظن بكلمة خرجت منه سوءا ما كنت واجدا لها فى الخير مذهبا وما كافأت من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله جل اسمه فيه وعليك باخوان الصدق فانهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء) . وحدث ابراهيم بن عيسى قال : ذاكرت المنصور ذات يوم فى أبى مسلم وصونه السر وكتمه حتى فعل ما فعل ، فأنشد :

تقسمنى أمران لم أفتتحهما بحزم ولم تعركهما لى الكراكر
وما ساور الاحشاء مثل دفينة من الهم ردتها اليك المعاذر
وقد علمت افناء عدنان اننى على مثلها مقدامة متجاسر

وقال آخر :

صن السر بالكتمان يرضك غبه فقد يظهر السر المضيع فيندم
ولا تفشين سرا الى غير أهله فيظهر خرق الشر من حيث يكتم

وما زلت فى الكتمان حتى كأننى
برجع جواب السائل عنه أعجم
لنسلم من قول الوشاة وتسلمى
سلمت وهل حى على الدهر يسلم

وقال آخر :

أمنى تخاف انتشار الحديث وحظى فى ستره اوفر
ولو لم اصنه لبقيا عليك نظرت لنفسى كما تنظر

وقال أبو نواس :

لا تفش اسرارك للنـــاس ودا‌و احــزانك بالكاس
فان ابليس عــلى ما به اراف بالناس من الناس

وقال المبرد : أحسن ما سمعت في حفظ اللسان والسر ما روى لأمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه :

لعمرك ان وشـــاة الرجا ل لا يتركون اديما صحيحا
فلا تبـد سرك الا اليك فان لكل نصيح نصيحا

وقال العتبى :

ولى صاحب سرى المكتم عنده محاريق نيران بليل تحرق
غدوت على أسراره فكسوتها ثيابا من الكتمان ما تتخرق
فمن كانت الاسرار تطفو بصدره لأسرار صدرى بالاحاديث تغرق
فلا تودعن الدهر سرك أحمقا فانك انّ أودعته منه أحمق
وحسبك في ستر الاحاديث واعظا من القول ماقال الاديب الموفق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذى يستودع السر أضيق

وقال آخر :

لايكتم السر الا كل ذى خطر فالسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندى فى بيت له غلق قدضاع مفتاحه والباب مردوم

قيل : دخل أبو العتاهية على المهدى وقد ذاع شعره فى عتبة، فقال : ما أحسنت فى حبك ولا أجملت فى اذاعة سرك ، فقال :

من كان يزعم أن سيكتم حبه
او يستطيع الستر فهو كذوب
الحب أغلب للرجال بقهــره من أن يرى للسر فيه نصيب
واذا بــدا سر اللبيب فانه لم يبــد الا والفتى مغلوب
انى لأحسد ذاهوى مستحفظا لم تتهمه أعين وقلوب

فاستحسن المهدى شعره وقال : قد عذرناك على اذاعة سرك ووصلناك على حسن عذرك أن كتمان السر أحسن من اذاعته .

وقال زياد : لكل مستشير ثقة وان الناس قد ابتدعت بهم خصلتان : اذاعة السر ، وترك النصيحة ، وليس للسر موضع إلا أحد رجلين : اما أخروى يرجو ثواب الله ، أو دنياوى له شرف فى نفسه وعقل يصون به حسبه وهما معدومان فى هذا الدهر • وقال المهلب : ما ضاقت صدور الرجال عن شيء كما تضيق عن السر ، كما قال الشاعر :

ولربما كتم الوقور فصرحت حركاته للناس عن كتمانه
ولربما رزق الفتى بسكوته ولربما حرم الفتى ببيانه

وقال آخر :

اذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فسرك عند الناس أفشى وأضيع
لسانى كتوم لأسراركم ودمعى نموم لسرى مذيع
فلولا الدموع كتمت الهوى
ولولا الهوى لم تكن لى دموع

٧ ـ محاسن المشورة

يقال : اذا استخار الرجل ربه واستشار نصيحه واجتهد فقد قضى ما عليه ويقضى الله فى أمره ما يحب • وقال آخر : حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة • وقيل : اذا استشرت فانصح ، وإذا قدرت فاصفح • وقيل : من وعظ أخاه سرا زانه ، ومن وعظه جهرا شانه • وقال آخر : الاعتصام بالمشورة نجاة • وقال آخر : نصف عقلك مع أخيك فاستشره • وقال آخر : اذا أراد الله لعبد هلاكا أهلكه برأيه • وقال آخر : المشورة تقوم اعوجاج الرأى • وقال : اياك ومشورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن •

(ضده)

قال بعض أهل العلم : لو لم يكن فى المشورة الا استضعاف صاحبك لك وظهور فقرك اليه لوجب اطراح ما تفيده المشورة

والقاء ما يكسبه الامتنان ، وما استشرت أحدا الا كنت عند نفسي ضعيفا وكان عندى قويا ، وتصاغرت له ودخلته العزة ، فاياك والمشورة وان ضاقت بك المذاهب واختلفت عليك المسالك وأداك الاستبهام الى الخطأ الفادح ، فان صاحبها أبدا مستذل مستضعف ، وعليك بالاستبداد فان صاحبه أبدا جليل فى العيون مهيب فى الصدور ، ولن تزال كذلك ما استغنيت عن ذوى العقول فاذا افتقرت اليها حقرتك العيون ورجفت بك أركانك وتضعضع بنيانك وفسد تدبيرك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وعرفت بالحاجة اليهم . وقيل : نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل . وممن اقتصر على رأيه دون المشورة الشعبى فانه خرج مع ابن الاشعث فقدم به على الحجاج فلقيه يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج فقال له : أشر على فقال: لا أدرى بم أشير ولكن اعتذر بما قدرت عليه وأشار بذلك عليه كافة أصحابه ، قال الشعبى : فلما دخلت خالفت مشورتهم ورأيت والله غير الذى قالوا فسلمت عليه بالامرة ثم قلت : أيد الله الامير ان الناس قد أمرونى أن أعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق ولك الله أن لا أقول فى مقامى هذا الا الحق قد جهدنا وحرضنا فما كان بالاقوياء الفجرة ولا الاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا ، فقال الحجاج : أنت والله أحب الينا قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ويقول والله ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبى ، فقلت : أيها الامير اكتحلت والله بعدك السهر واستحلست الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم أجد من الامير خلفا قال : صدقت ، وانصرفت :

٨ ـ محاسن الشكر

قال بعض الحكماء : صن شكرك عمن لا يستحقه واستر ماء وجهك بالقناعة .وقال الفضل بن سهل : من أحب الازدياد من النعم فليشكر ومن أحب المنزلة فليكف ومن أحب بقاء عزه

فليسقط دالته ومكره ٠ ومن ذلك قول رجل لرجل شكره فى معروف :

لقد ثبتت فى القلب منك مودة
كما ثبتت فى الراحتين الأصابع

قال : واصطنع رجل رجلا فسأله يوما أتحبنى يافلان قال : نعم أحبك حبا لو كان فوقك لأظلك أو كان تحتك لأقلك ٠
وقال كسرى أنو شروان : المنعم أفضل من الشاكر لانه جعل له السبيل الى الشكر ٠ واختصر حبيب ابن أوس هذا فى مصراع واحد فقال :

لهان علينا أن نقول وتفعلا

الباهلى عن أبى فروة قال: مكتوب فى التوراة :أشكرمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا اقامة لها اذا كفرت والشكر زيادة فى النعم وأمان من الغير ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة : (البغى والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر) ، وأنشد الحطيئة عمر وكعب الاحبار عنده :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لايذهب العرف بين الله والناس

فقال كعب : يا أمير المؤمنين من هذا الذى قال ؟ هذا مكتوب فى التوراة ؟ فقال عمر : كيف ذلك ؟ قال فى التوراة مكتوب : من يصنع الخير لا يضيع عندى لا يذهب العرف بينى وبين عبدى وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا الاجتهاد ، فقال : أفلا أكون عبدا شكورا ٠ وفى الحديث (أن رجلا قال فى الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم ربنا لك الحمد حمدا مباركا طيبا زكيا فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال أيكم

صاحب الكلمة قال أحدهم أنا يارسول الله فقال لقد رأيت سبعة وثلاثين ملكا يبتدرون أيهم يكتبها أولا) وقيل : نسيان النعمة أول درجات الكفر ، وقال أمير المؤمنين على رضى الله عنه : المعروف يكفر من كفره لأنه يشكرك عليه أشكر الشاكرين ، وقد قيل فى ذلك :

يد المعروف غنم حيث كانت تحملها كفور أم شكور
فعند الشاكرين لها جزاء وعند الله ما كفر الكفور

وقال بعض الحكماء : ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر عليها الا ترك حسابه عليها ، وقال بعض الحكماء : عند التراخى عن شكر النعم تحل عظائم النقم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول لعائشة ما فعل بيتك فتنشده :

يجزيك او يثنى عليك وان من
اثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فيقول صلى الله عليه وسلم : صدق القائل يا عائشة ان الله اذا أجرى على يد رجل خيرا فلم يشكره فليس لله بشاكر ، وقيل لذى الرمة : لم خصصت بلال بن أبى بردة بمدحك ؟ قال : لأنه وطأ مضجعى وأكرم مجلسى وأحسن صلتى فحق لكثير معروفه عندى أن يستولى على شكرى . ومنهم من يقدم ترك مطالبة الشكر وينسبه الى مكارم الاخلاق ، من ذلك ما قاله بزرجمهر . من انتظر بمعروفه شكرك عاجل المكافأة ، وقال بعض الحكماء : ان الكفر يقطع مادة الانعام فكذلك الاستطالة بالصنيعة تمحق الاجر ، وقال على بن عبيدة : من المكارم الظاهرة وسنن النفس الشريفة ترك طلب الشكر على الاحسان ورفع الهمة عن طلب المكافأة واستكثار القليل من الشكر واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه . وفصل من كتاب ولست أقابل أياديك ولا أستديم احسانك الا بالشكر الذى جعله الله للنعم حارسا وللحق مؤديا وللمزيد سببا .

قال بعض الحكماء : المعروف الى الكرام يعقب خيرا والى اللئام يعقب شرا ومثل ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب وتشرب منه الافاعي فيعقب سما • وقال سفيان : وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام ، وقال : أثار جماعة من الاعراب ضبعا فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا أخرجها ،فقال: ما كنت لأفعل وقد استجارت بى فأنصرفوا وقد كانت هزيلا فأحضر لها لقاحا وجعل يسقيها حتى عاشت فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته • فقال شاعرهم فى ذلك :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله

يلاقى الذى لاقى مجير أم عامر

أقام لها لما أناخت ببابه لتسمن ألبان اللقاح الدرائر

فأسمنها حتى اذا ما تمكنت فرته بأنياب لها وأظافر

فقل لذى المعروف هذا جزاء من يجود باحسان الى غير شاكر

قيل : وأصاب أعرابى جرو ذئب فاحتمله الى خبائه وقرب له شاة فلم يزل يمتص من لبنها حتى سمن وكبر ثم شد على الشاة فقتلها • فقال الاعرابى يذكر ذلك :

غذتك شويهتى ونشأت عندى فمن أدراك أن أباك ذيب

فجعت نسية وصغار قوم بشاتهم وأنت لها ربيب

اذا كان الطباع طباع سوء فليس بنافع أدب الاديب

وفى المثل ـ سمن كلبك يا كلك ـ وأنشد :

هم سمنوا كلبا ليأكل بعضهم ولو عملوا بالحزم ما سمنوا كلبا

وقال آخر :

واني وقيسا كالمسمن كلبه فخدشه أنيــــابه وأظافره

ويضرب المثل بسنمار وكان بنى للنعمان بن المنذر الخورنق فأعجبه وكره أن يبنى لغيره مثله فرمى به من أعــلاه فمات ، فقيل فيه :

جزينا بني سعد بحسن بلائهم جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

وقال بشار :

أثنى عليك ولى حال تكذبنى فيما أقول فاستحيى من الناس
قد قلت ان أبا حفص لاكرم من يمشى فخاصمنى فى ذاك افلاسى
حتى اذا قيل ما أعطاك من صفد
طأطأت من سوء حالى عندها راسى

ولأبى الهول :

كأنى اذ مدحتك يا ابن معن رآنى الناس فى رمضان أزنى
فان أك رحت عنك بغير شىء فلا تفــرح كذلك كان ظنى

وقال آخر :

لحى الله قوما أعجبتهم مدائحى فقالوا مقالا فى ملام وفى عتب
أبا حازم تمــــدح ، فقلت معذرا
هبونى أمرءا جربت سيفى على كلب

وقال آخر :

عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن لكنه يشتهى حمدا بمجــان
والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا
حتى يروا عنـــده آثار احســـان

وقال آخر :

يحب المديح أبو خالد ويغضب من صلة المادح
كبكر تحب لذيذ لنكاح وتجزع من صولة الناكح

وقال آخر :

ولو كان يستغنى عن الشكر سيد
لعزة ملك أو علو مكان
لما أمر الله العباد بشكره فقال أشكرونى أيها الثقلان

٩ ـ محاسن الصدق

قال بعض الحكماء : عليك بالصدق فما السيف القاطع فى كف الرجل الشجاع بأعز من الصدق ، والصدق عز وان كان فيه ما تكره والكذب ذل و ن كان فيه ما تحب ، ومن عرف بالكذب اتهم فى صدق • وقيل : الصدق ميزان الله الذى يدور عليه العدل ، والكذب مكيال الشيطان الذى يدور عليه الجور • وقال ابن السماك : ما أحسبنى أوجر على ترك الكذب لانى أتركه أنفة • وقال آخر : لو لم يترك العاقل الكذب الا مروءة لكان بذلك حقيقا ، فكيف وفيه المأثم والعار • وقال الشعبى : عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فانه ينفعك ، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فانه يضرك • وقال بعضهم : الصدق عز و لكذب خضوع • ومدح قوم بالصدق منهم أبو ذر رضى الله عنه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ماأظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ، ولا طلعت الشمس على ذى لهجة أصدق من أبى ذر) • و منهم العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فانه روى أنه أطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل : هذا عمك العباس قال : نعم ، قال ان

الله تعالى : يأمرك أن تقرأ عليه السلام وتعلمه أن اسمه عند الله الصادق وأن له شفاعة يوم القيامة ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فتبسم فقال : ان شئت أخبرتك مما به تبسمت وان شئت أن تقول فقل ، فقال : بل تعلمني يا رسول الله ، فقال : لانك لم تحلف يمينا في جاهلية ولا اسلام برة ولا فاجرة ، ولم تقل لسائل : لا قال : والذى بعثك بالحق نبيا ما تبسمت الا لذلك • ويروى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، انى أستتر بخلال الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببت تركته ، قال : دع الكذب فمضى الرجل فهم بالزنا ، فقال : يسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان جحدت نقضت ما جعلته له ، وان أقررت حددت فلم يزن ، فهم بالسرقة وشرب الخمر ففكر فى ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : قد تركتهن أجمع • فأما من رخص له فى الكذب فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يصلح الكذب الا فى ثلاث : كذب الرجل لاهله ليرضيها وكذب فى أصلاح ما بين الناس وكذب فى حرب) • وروى عن المغيرة بن ابراهيم أنه قال : لم يرخص لاحد فى الكذب الا للحجاج بن علاط فانه لما فتحت خيبر قال يا رسول الله : ان لى عند امرأة من قريش وديعة فأذن لى يا رسول الله أن أكذب عليك كذبة لعلى أستتل وديعتى فرخص له فى ذلك فقدم مكة فأخبرهم انه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا فى أيديهم يأتمرون فيه فقائل يقول : يقتل وقائل يقول : لا بل يبعث به الى قومه فتكون منة ، فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويوئسون العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعباس يريهم التجمل ، وأخذ الرجل وديعته فاستقبله العباس وقال : ويحك ما الذى أخبرت به ؟ فأعلمه السبب ، ثم أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر ونكح صفية بنت حيى بن أخطب وقتل زوجها وأباها ، ثم قال : اكتم على اليوم وغدا حتى أمضى

فقالوا : من أخبرك بهذا ؟ قال من أخبركم بضده .

(ضده)

قيل : وجد فى بعض كتب الهند ليس لكذوب مروءة ، ولا لضجور رياسة ، ولا لملول وفاء ، ولا لبخيل صديق . وقال قتيبة بن مسلم : لا تطلبن الحوائج من كذوب ، فانه يقربها وان كانت بعيدة ، ويبعدها وان كانت قريبة ، ولا الى رجل قد جعل المسألة مأكلة فانه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقايةلها ، ولا الىأحمق فانهيريدنفعك فيضرك ، وقيل : أمران لا ينفكان من كذب : كثرة المواعيد وشدة الاعتذار . وقيل : كفاك موبخا على الكذاب علمك بأنه كاذب ، وقال رجل لأبى حنيفة : ما كذبت قط ، قال : أما هذه فواحدة . وفى المثل هو أكذب من أخيذ السند ، وذلك انه يؤخذ الحسيس منهم فيزعم أنه ابن الملك . وكذلك يقال: أكذب من سياح خراسان، لانهم يجتازون فى كل بلد ، ويكذبون للسؤال والمسألة . ويقال : هو أكذب من الشيخ الغريب ، وذلك أنه يتزوج فى الغربة وهو ابن سبعين سنة فيزعم أنه ابن أربعين . ويقال: هو أكذب من مسيلمة وبه يضرب المثل . ومما قيل فى ذلك من الشعر :

حسب الكذوب من البلية بعض ما يحكى عليه
ما ان سمعت بكذبة من غيره نسبت اليه

وقال آخر :

لقد اخلفتنى وحلفت حتى اخالكقد كذبت وان صدقتا
الا لا تحلفن على كلام فاكذب ما تكون اذا حلفتا

وقال آخر :

قد كنت انجز دهرا ما وعدت الى
ان أتلف الوعد ماجمعت من نشب
فان اكن صرت فى وعدى اخا كذب
فنصرة الصدق افضت بىالى الكذب

قال الاصمعى : قال الخليل بن سهل: يا أبا سعيد أعلمت أن طول رمح رستم كان سبعين ذراعا من حديد مصمت فى غلظ الراقود ، فقلت ها هنا اعرابى له معرفة فاذهب بنا اليه فحدثه بهذا ، فذهبت به الى الاعرابى فحدثه ، فقال الاعرابى : قد سمعت بذلك ، وبلغنا أن رستم هذا كان هو واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه نائما ورأسه فى حجر أمه فقالت لهما : ما شأنكما ، فقالا : بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه فانتبه فزعا من كلامهما فنفخهما فألقاهما الى أصبهان فقبرهما اليوم بها فقال الخليل : قبحك الله ما أكذبك ، قال : يابن أخى ما بينا شيئا الا وهو دون الراقود . قيل : وقدم بعض العمال من عمل فدعا قومه الى طعامه وجعل يحدثهم بالكذب، فقال بعضهم: نحن كما قال الله عز وجل «سماعون للكذب، أكالون للسحت» قيل : وكان رجال من أهل المدينة من بين فقيه وراوية وشاعر يأتون بغداد فيرجعون بحظوة وحال حسنة ، فاجتمع عدة منهم

فقالوا لصديق لهم لم يكن عنـــده شىء من الادب : لو أتيت العراق فلعلك أن تصيب شيئا ، قال : أنتم أصحاب آداب تلتمسون بها ، فقالوا : نحن نحتال لك فأخرجوه ، فلما قدم بغداد طلب الاتصال بعلى بن يقطين وشكا اليه الحاجة فقال : ما عندك من الادب ؟ فقال : ليس عندى من الادب شىء غير انى أكذب الكذبة وأخيل الى من يسمعها انى صادق ، وكان ظريفا مليحا فأعجب به وعرض عليه مالا فأبى أن يقبـــله ، وقال : ما أريد منك الا أن تسهل أذنى وتدنى مجلسى ، قال : ذاك لك ، وكان من أقرب الناس اليه مجلسا حتى عرف بذلك . وكان المهدى قد غضب على رجل من القواد واستصفى ماله ، وكان يختلف الى على بن يقطين رجاء أن يكلم له المهدى ، وكان يرى قرب المدينى ومكانه من على فأتى المدينى القائد عشيا فقال: ما البشرى ، قال : لك البشرى وحكمك ، قال : أرسلني على ابن يقطين اليك وهو يقرئك السلام ويقول : قد كلمـــت أمير المؤمنين فى أمرك ورضى عنك وأمر برد مالك وضياعك ويأمرك

بالعدو اليه لتغدو معه الى أمير المؤمنين متشـــكرا ، فدعا له الرجل بألف دينار وكسوة وحملان وغدا على على مع جماعة من وجوه العسكر متشكرا ، فقال له على : وما ذاك ؟ قال : أخبرنى أبو فلان ـ وهو الى جانبه ـ كلامك أمير المؤمنين فى أمرى ورضاه عنى فالتفت الى المدينى وقال : ما هذا ؟ فقال : أصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع نشرناه . فضحك على وقال: على بدابتى وركب الى المهدى وحدثه الحديث ، فضحك المهدى وقال : انا قد رضينا عن الرجل ورددنا عليه ماله ، وأجرى على المدينى رزقا واسعا واستوصى به خيرا ثم وصله ، وكان يعرف بكذاب أمير المؤمنين .

١٠ ـ محاسن العفو

قيل : أسر مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه فقال : أيها الامير ماأقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة فأتعلق بأطرافك وأقول : رب سل مصعبا فيم قتلنى ، فقـــال : أطلقوه فقال : أيهـــا الامير اجعـــل ما وهبـــت لى من عمـــرى فى خفض عيش .. فقال : أعطـــوه مائة ألف درهم . قال : بأنى أنت وأمى أشهدك أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفا ، قال : لم ؟ قال : لقوله فيك :

انما مصعب شـــهاب من الله تجلت عن وجهـــه الظلمـــاء
ملكه ملك رأفة ليس فيـــه جبروت ولا له كبـــرياء

فضحك مصعب وقال : لقـــد تلطفت وان فيك لموضـــعا للصنيعة ، وأمر له بالمائة الف ، ولابن قيس الرقيات بخمسين ألف درهم . قيل : وأمر الرشيد يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جناية فحبسه ، ثم سأل عنه الرشيد فقيـــل : هو كثير

الصلاة والدعاء فقال للموكل به : عرض له بأن تكلمنى وتسألنى اطلاقه فقال له الموكل ذلك ، فقال : قل لأمير المؤمنين ان كل يوم يمضى من نعمتك ينقص من محنتى ، والامر قريب، والموعد الصراط ، والحاكم الله فخر الرشيد مغشيا عليه ثم أفاق وأمر باطلاقه • وقيل ظفر المأمون برجل كان يطلبه ، فلما دخل عليه قال : يا عدو الله انت الذى تفسد فى الارض بغير الحق يا غلام خذه اليه فاسقه كأس المنية ، فقال : يا أمير المؤمنين ان رأيت ان تستبقينى حتى أؤيدك بمال قال لا سبيل الى ذلك فقال : يا أمير المؤمنين فدعنى أنشدك أبياتا قال هات فانشده :

زعموا بأن الباز علق مرة عصفور بر ساقه المقدور
فتكلم العصفور تحت جناحه والباز منقض عليه يطير
ما بى لما يغنى لمثلك شبعة ولئن أكلت فاننى لحقير
فتبسم الباز المدل بنفسه كرما وأطلق ذلك العصفور

فقال له المأمون : أحسنت ما جرى ذلك على لسانك الا لبقية بقيت من عمرك فأطلقه وخلع عليه ووصله • وعن بعضهم أن واليا اتى برجل جنى جناية فأمر بضربه فلما مد قال : بحق رأس أمك الا ما عفوت عنى ، قال : أوجع فقال : بحق خديها ونحرها قال : اضرب قال بحق ثدييها قال : اضرب قال : بحق سرتها قال : ويلكم دعوه لا ينحدر قليلا • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (ان الرجل اذا ظلم فلم ينتصر ولم يجد من ينصره فرفع طرفه الى السماء ودعا قال الله له لبيك عبدى أنصرك عاجلا وآجلا) • وقال صلى الله عليه وسلم فى قولهم : أنصر أخاك ظالما أو مظلوما وقد سئل عن ذلك فقيل : أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما ؟ فقال : تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه ، وقال فضيل بن عياض : بكى أبى فقلت : مايبكيك؟ فقال : أبكى على ظالمى ومن أخذ مالى أرحمه غدا اذا وقف بين يدى الله عز وجل وسأله فلا تكون له حجة • وقال الحسن

البصرى : أيها المتصدق على السائل يرحمه ارحم أولا من ظلمت:
وروى عن عبد الله بن سلام قال : قرأت فى بعض الكتب : قال الله عز وجل « اذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى» ٠
قال خالد بن صفوان : اياكم ومجانيق الضعفاء (يعنى الدعاء) ٠

ضـــده

قيل : لما قالت التغلبية للجحاف بن حكيم السلمى فى وقعته بالبشر قوض الله عمادك وأطال سهادك وأقل رقادك فوالله ان قتلت الا نساء أسافلهن دمى وأعاليهن ندى ، قال لمن حوله : لولا أن تلد مثلها لخليت سبيلها فبلغ ذلك الحسن البصرى فقال : أما الجحاف فجذوة من نار جهنم ٠ قال ولما بنى زياد بناء البصرة أمر أصحابه أن يسمعوا من أفواه الناس فأتى برجل تلا آية « أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون» قال : وما دعاك الى هذا ؟ قال : آية من كتاب الله عز وجل خطرت على بالى فتلوتها والله لأعملن فيك بالآية الثانية « واذا بطشتم بطشتم جبارين» ثم أمر به فبنى عليه ركن من أركان القصر وقال : وبعث زياد الى رجل من بنى تميم فقال : أخبرونى بصلحاء كل ناحية فأخبروه فاختار منهم رجالا فضمنهم الطريق ، وقال لو ضاع بينى وبين خراسان حبل لعلمت من لقطه ٠ وكان يدفن الناس أحياء وينزع أضلاع اللصوص ٠ قال : وقال عبد الملك للحجاج كيف تسير فى الناس ؟ قال : انظر الى عجوز أدركت زيادا فاسألها عن سيرته فاعمل بها ، فأخذ والله بسنته حتى ما ترك منها شيئا ٠ وذكروا أن الحجاج لما أتى المدينة ارسل الى الحسن بن الحسن رضى الله عنه : فقال هات سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه قال : لا افعل قال : فجاء الحجاج بالسيف والسوط فقال : والله لاضربنك بهذا السوط حتى أقطعه ، ثم لاضربنك بهذا السيف حتى تبرد أو تأتينى بهما ، فقال الناس : يا أبا محمد لا تعرض لهذا الجبار قال : فجاء الحسن بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فوضعهما

بين يدى الحجاج ، فأرسل الحجاج الى رجل من بنى أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : هل تعرف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، فخلطه بين أسيافه ثم قال : أخرجه ، ثم جاء بالدرع فنظر اليها ، ثم قال : هناك علامة كانت على الفضل بن العباس يوم اليرموك فطعن بحربة فخرقت الدرع فعرفناها ، فوجد الدرع على ما قال فقال الحجاج: أما والله لو لم تجئنى به وجئت بغــيره لضربت به رأسك ·
وذكروا أن الحجاج قال ذات ليلة لحاجبه : أعسس بنفسك فمن وجدته فجئنى به فلما أصبح أتاه بثلاثة فقال : أصلح الله الامير ما وجدت الا هؤلاء الثلاثة ، فقال الحجاج لواحد منهم : ما كان سبب خروجك بالليل وقد نادى المنــادى ألا يخرج أحد بالليل قال : أصلح الله الامير كنت سكران فغلبنى السكر فخرجت ولا أعقل ، ففكر ساعة ثم قال : سكران غلبه سكره خلو عنه لا تعودن ، ثم قال للآخر : فأنت ما كان سـبب خروجك ؟ قال : أصــلح الله الامــير كنت مع قــوم فى مجلس يشربون فوقعت بينهم عربدة فخفت على نفسى فخرجت، ففكر الحجاج ساعة فقال : رجل أحب المسالمة خلوا عنه ، ثم قال للآخر ما كان سبب خروجك ؟ فقال : لى والدة عجوز وأنا رجل حمال فرجعت الى بيتى فقالت والدتى · ما ذقت الى هذا الوقت طعاما ولا ذواقا فخرجت التمس لها ذلك فأخذنى العسس، ففكر ساعة ثم قال : يا غلام أضرب عنقه فاذا رأسه بين رجليه ·

١١ ـ محاسن الصبر على الحبس

قال الكسروى : وقع كسرى بن هرمز الى بعض المحبسين : من صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به ، ومن طول فى الحبل كان فيه عطبه ، ومن أكل بلا مقدار تلفت نفسه · قيل ودخل ابن الزيات على الافشين وهو محبوس فقال يخاطبه

اصبر لها صبر أقوام نفوسهم   لا تستريح الى عقل ولا قود

فقال الافشين : من صحب الزمان لم ينج من خيره أو شره ووجد الكرامة والهوان ، ثم قال :

لم ينج من خـــيرها أو شرها أحـــــد
فاذكر شوائبها ان كنت من أحـــــد
خاضت بك المنيـــة الحمقاء غمرتهـــا
فتلك أمواجهـــــا تدميـــك بالزبد

ولعلى بن الجهم لما حبسه المتوكل :

قالت حبست فقلت ليس بضـــائرى
حبسى وأى مهنــــــد لا يغمـــــد

أو ما رأيت الليث يألف غيله   كبرا وأوباش السباع تردد
والنار فى أحجارها مخبوءة   لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والبدر يدركه الظلام فتنجلى   أيامـــه وكأنه متجـــــدد
والزاعبيـــة لا يقيم كعوبها   الا الثقاف وجــذوة تتوقد
غير الليـــالى بادئات عـــود   والمال عارية يفاد وينفـــــد
لا يؤيسنك من تفــرج كربة   خطب أتاك به الزمان الانكد
فلكل حال معقب ولربمـــــا   أجلى لك المكروه عما تحمـــد
كم من عليل قد تخطاه الردى   فنجا ومات طبيبه والعـــود
صبرا فان اليوم يعقبـه غد   ويد الخــلافة لا تطاولها يد
والحبس ما لم تغشــه لدنية   شنعاء نعم المنزل المتـــورد
لو لم يكن فى الحبس الا انه   لا يستذلك بالحجاب الاعبـد
بيت يجدد للـــكريم كرامة   ويزار فيه ولا يزور ويحمد
أبلغ أمير المؤمنـــين ودونه   خوف العدا ومخاوف لا تنفد
أنتم بنو عم النبى محمـــد   أولى بما شرع النبى محمـــد
ما كان من حسن فأنتم أهله   كرمت مغارسكم وطاب المحتد

أمن السموية يا ابن عم محمد خصم تقربه وآخر يبعد
يا احمد ابن أبى دؤاد انما تدعى لكل كريهة يا احمد
ان الذين سعوا اليك بباطل أعداء نعمتك التى لا تجحد
شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا فينا وليس كغائب من يشهد
لو يجمع الخصماءعندكمنزل يوما لبان لك الطريق الارشد
والشمس لولا انها محجوبة عن ناظريك لما أضاء الفرقد

ضده

أنشدنا عاصم بن محمد الكاتب لنفسه لما حبسه احمد بن عبد العزيز ابن ابى دلف قوله :

قالت حبست فقلت خطب أنكد
انحى على به الزمان المرصد
لو كنت حرا كان سربى مطلقا
ما كنت أحبس عنوة وأقيد
لو كنت كالسيف المهند لم يكن
وقت الكريهة والشدائد يغمد
لو كنت كالليث الهصور لما رعت
فى الذئاب وجذوتى تتوقد

من قال ان الحبس بيت كرامة فمكاثر فى قوله متجلد
ما الحبس الا بيت كل مهانة ومذلة ومكارة لا تنفد
ان زارنى فيه العدو فشامت يبدى التوجع تارة ويفند
أو زارنى فيه المحب فموجع يذرى الدموع بزفرة تتردد
يكفيك ان الحبس بيت لايرى أحد عليه من الخلائق يحسد
تمضى الليالى لا أذوق لرقدة طعما وكيف يذوق من لايرقد
فى مطبق فيه النهار مشاكل لليل والظلمات فيه سرمد
فالى متى هذا الشقاء مؤكد والى متى هذا البلاء مجدد
مالى مجير غير سيدى الذى ما زال يكفلنى فنعم السيد
فتنيك حشاشة مهجتى بنوافل من سيبه وصنائع لا تجحد

عشرين حولا عشت تحت جناحه … عيش الملوك وحالتي تتزايد
فخلا العدو بموضعي من قلبه … فحشاه جمرا ناره تتوقد
فاغفر لعبدك ذنبه متطولا … فالحقد منك سجية لا تعهد
واذكر خصائص خدمتي ومقاومي
أيام كنت جميع أمرى تحمد

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنهم :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها
فلسنا من الاموات فيها ولا الاحياء
اذا دخل السجان يوما لحاجة
عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا
اذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فان حسنت كانت بطيئا مجيئها
وان قبحت لم تنتظر وأتت سعيا

وقال آخر :

ألا أحد يدعو لاهل محله
مقيمين فى الدنيا وقد فارقوا الدنيا
كأنهم لم يعرفوا غير دارهم
ولم يعرفوا غير الشدائد والبلوى

وقال ابن المعتز :

تعلمت فى السجن نسج التكك
وكنت امرءا قبل حبسى ملك
وقيدت بعد ركوب الجياد
وما ذاك الا : بدور الفلك

الم تبصر الطـير فى جوها تـكاد تلاصق ذات الحبك
اذا أبصرته خطوب الزمان أوقعنه فى حبـال الشرك
فهذاك من حالك قد يصـاد ومن قعر بحر يصاد السمك

ووجد فى البيت الذى قتل فيه مكتوب بخطه على الارض :

يانفس صبرا لعل الخير عقباك خانتك بعد طول الامن دنياك
مرت بنا سحرا طير فقلت لها طوباك ياليتنى اياك طوباك

وقال اعرابى :

ولما دخلت السجن كبر أهله وقالوا ابو ليلى الغداة حزين
وفى الباب مكتوب على صفحاته بأنك تنزو ثم سـوف تلين

وفى الحديث المرفوع (ان يوسف عليه السلام شكا الى الله تعالى طول الحبس فأوحى اليه أنت حبست نفسك حين قلت رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه) ولو قلت العافية أحب الى لعوفيت · قال وكتب يوسف عليه السلام على باب السـجن : هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجـربة الاصدقاء ·

١٢ ـ محاسن المودة

قال بعض الحكماء : ليس للانسان تنعم الا بمودات الاخوان وقال آخر : الازدياد من الاخوان زيادة فى الآجال وتوفير لحسن الحال · وقيل : عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم · وقال :

قد يمكث الناس حينا ليس بينهم

ود فيزرعه التسليم واللطف

يسلى الشقيقين طول النأى بينهما

وتلتقى شعب شتى فتأتلف

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه لابنه الحسين : ابذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن اليه كل الطمأنينة واعطه كل المواساة ولا تفش اليه كل الاسرار . وقال العباس بن جرير : المودة تعاطف القلوب وائتلاف الارواح وأنس النفوس ووحشة الاشخاص عند تنائى اللقاء وظهور السرور بكثرة التزاور وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق فى الخصال .

وقال بعضهم : من لم يؤاخ من الاخوان الا من لاعيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره اياه على نفسه دام سخطه ومن عاتب على غير ذنب كثر عدوه . وكان يقال : أعجز الناس من فرط فى طلب الاخوان . وقال الشاعر فى مثله :

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة

ولكن إخوان الثقات الذخائر

(ضده)

قال المأمون : الاخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه أحيانا ، وطبقة كالداء الذى لا يحتاج اليه . وكتب بعض الكتاب ان فلانا أولانى جميلا من البشر مقرونا بلطيف من الخطاب فى بسط وجه ولين كنف ، فلما كشفه الامتحان بيسير الحاجة كان كالتابوت المطلى عليه بالذهب ، المملوء بالعذرة أعجبك حسنه ما دام مطبقا ، فلما فتح آذاك نتنه فلا أبعد الله غيره ، ومما قيل فى ذلك :

والله لو كرهت كفى منادمتى

لقلت للكف بينى اذ كرهتينى

ولو انى تخالفنى شمالى لما اتبعتها ابدا يمينى

اذن لقطعتها ولقلت بينى كذلك اجتوى من يحتوينى

وقال آخر :

من لم يردك فلا ترده ليكن كمن لم تستفده

باعد أخاك ببعده فاذا ناى شبرا فزده

وقال آخر :

تود عدوى ثم تزعم اننى أودك أن الرأى منك لعازب

وليس اخى من ودنى راى عينه ولكن اخى من ودنى وهو غائب

وقال آخر :

ان اختيارك لا عن خبرة سلفت

الا الرجاء ومما يخطىء النظر

كالمستغيث ببطن السيل يحسبه

حرزا يبادره اذ بله المطر

وقال آخر :

وصاحب كان لى وكنت له اشفق من والد على ولد

وكان لى مؤنسا وكنت له ليست بنا وحشة الى احد

كنا كساق مشت بها قدم أو كذراع نيطت الى عضد

حتى اذا امكن الحوادث من حظى وحل الزمان من عقدى

ازور عنى وكان ينظـر من — عيني ويرمى بساعدي ويدى
حتى اذا استرفدت يدي يده — كنت كمسترفد يد الاسـد

وقال آخر :

فيا عجبا لمن ربيت طفـلا — ألقمه بأطراف البنــان
اعلمــه الرمـاية كل يوم — فلما اشتد ســاعده رمانى
اعلمه الفتــوة كل حــين — فلما طر شاربه جفــانى
اعلمــه الرواية كل وقت — فلما صار شاعرها هجـانى

١٣ ـ محاسن الولايات

سئل عمار بن ياسر رضى الله عنه عن الولاية فقــال : هى حلوة الرضاع ، مرة الفطام • وذكروا أنه كان سبب عــزل الحجاج بن يوسف عن المدينة ، وقد وفد من أهل المدينة وفد منهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان ، فأثنوا على الحجاج وعيسى ساكت ، فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك ، فقام فجلس بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين من أنا؟ قال عيسى بن طلحة بن عبيد ، قال : فمن أنت ؟ قال عبد الملك بن مروان: أفجهلتنا أو تغيرت بعدنا؟ قال : وما ذاك؟ قال : وليت علينا الحجاج بن يوسف يسير بالباطل ويحملنا على أن نثنى عليه بغير الحق والله لئن أعدته علينا لنعصينك وان قاتلتنا وغلبتنا وأسأت الينا قطعت أرحامنا ، ولئن قوينا عليك لنغصبنك ملكك ، فقــال له عبد الملك : انصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيئا ، قال : فقام الى منزله وأصبح الحجاج غاديا الى عيسى بن طلحة فقال : جزاك الله عن خلوتك بأمير المؤمنين خيرا فقــد أبدلنى بكم خيرا وأبدلكم بى غيرى وولانى العراق • وعن معمر بن وهيب قال : كان عبد الملك عندما استعفى أهل العراق من الحجاج قال لهم : اختاروا أى هذين شئتم ـ يعنى أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك ـ مكان الحجاج ؟ فكتب اليه الحجاج : يا أمير

المؤمنين ان أهل العراق استعفوا عثمان بن عفان من سعيد بن العاص فأعفاهم منه فساروا اليه من قابل وقتلوه ، فقال : صدق ورب الكعبة ، وكتب الى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له .

(ضده)

كتب عبد الصمد بن المعذل الى صديق له ولى النفاطات فاظهر تيها :

لعمرى لقد اظهرت تيها كأنما
توليت للفضل بن مروان عكبرا
دع الكبر واستبق التواضع انه
قبيح بوالى النفط أن يتغيرا
لحفظ عيون النفط أحدثت نخوة
فكيف به لو كان مسكا وعنبرا

وقال ابن المعتز :

كم تائه بولاية وبعزله يعدو البريد
سكر الولاية طيب وخماره صعب شديد

وقال آخر :

لا تفرحن فكل وال يعزل
وكما عزلت فعن قريب تقتل
وكذا الزمان بما يسرك تارة
وبما يسوؤك تارة يتنقل

١٤ ـ محاسن الصحبة

قيل : قال علقمة بن ليث لابنه : يابنى ان نازعتك نفسك الى **الرجال يوما لحاجتك اليهم فاصحب من ان صحبته زانك وان تخففت له صانك وان نزلت بك مؤونة مانك ، وان قلت صدق**

قولك وان صلت شدد صولك ، اصحب من اذا مددت اليه يدك لفضل مدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وأن بدت منك ثلمة سدها واصحب من لا تأتيك منه البوائق ، ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق . وقال آخر :

أصحب من خولك نفسه وملكك خدمته وتخيرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه . وكان يقال : من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذل لقدرك عزه . وقال بعضهم لصاحبه : أنا أطوع لك من اليد وأذل من النعل . وقال بعضهم : اذا رأيت كلبا ترك صاحبه وتبعك فارجمه فانه تاركك كما ترك صاحبه، وقال ابن أبي دؤاد لرجل انقطع الى محمد بن عبدالملك الزيات: ما خبرك مع صاحبك ؟ فقال لا يقصر في الاحسان الى فقال : يا هذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك .

(ضده)

قال كان يوسف بن عمر الثقفي يتولى العراقين لهشام بن عبد الملك وكان مذموما في عمله فخبرني المدائني قال : وزن يوسف بن عمر درهما فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق بضرب أهلها مائة . قيل وخطب في مسجد الكوفة فتكلم انسان مجنون فقال : يا أهل الكوفة ألم أنهكم أن تدخلوا مساجدكم المجانين ، اضربوا عنقه فضربت عنقه . قال : وقال لهمام بن يحيي وكان عاملا له : يا فاسق خربت مهرجا نقذق، قال : انه لم أكن عليها انما كنت على ماء دينار وعمرت البلاد فأعاد ذلك عليه مرارا فقال همام : قد أخبرتك اني كنت على ماء دينار وتقول : خربت مهرجا نقذق فلم يزل يعذبه حتى مات . وقال لكاتبه وقد أحتبس عن ديوانه يوما : ما حبسك؟ قال : اشتكيت ضرسي قال : تشتكي ضرسك وتقعد عن الديوان ودعا الحجام وأمره أن يقلع ضرسين من أضراسه . وعن المدائني قال : حدثني رضيع كان ليوسف بن عمر من بني عيسى قال : كنت لا أحجب عنه وعن خدمته فدعا ذات يوم

بجوار له ثلاث ودعا بخصي له يقال له حديج ، فقرب اليـــه واحدة فقال لها : انى أريد الشخوص ، أفأخلفك أو أشخصك معي ؟ فقالت : صحبة الامير أحب الى ولكنى أحسب أن مقامى وتخلفى أعفى وأخفعلى قلبه ، فقال : أحببت التخلف للفجور يا حديج ، اضرب فضربها حتىأوجعها ثم أمره أنيأتيه بالثانية وقد رأت ما لقيت صاحبتها ، فقال لها : انى أريد الشخوص افأخلفك أم أخرجك ؟ فقالت : ما أعدل بصـحبة الامير شيئا بل تخرجنى ، قال : أحببت الجماع ما تريدين أن يفوتك ليلة يا حديج أضرب فضربها حتى أوجعها ثمأمره أن يأتيه بالثالثة وقد رأت ما لقيت المتقدمتان ، فقال لها : انى أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك · قالت : الامير أعلم لينظر أخف الامرين عليه فليفعله · قال : اختارى لنفسك· قالت : ما عندياختيار فليختر الامير · قال : قد فرغت من كل عمل فلم يبق لى الا أن أختار لك أوجعها يا حـــديج فضربها حتى أوجعها · قال الرجل : فكأنما أوجعنى من شدة غيظى عليه فولت الجارية فتبعها الخادم ، فلما بعدت ، قالت : الخيرة والله فى فراقك ما تقر عين أحد بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها ، فقال : ما تقول يا حديج · قال : قالتكذا وكذا ، فقال يا ابنالخبيثة من أمرك أن تعلمنى يا غلام ، خذ الســـوط من يده فأوجع رأسه فما زال يضربه حتى اشتفى ، فتعرف من الغلام الآخر كم ضربت ؟ قال : لا أدرى · قال : عدو الله أتخرج حاصلى من بيت مالى من غير حساب أقتلوه فقتلوه ·

١٥ ـ محاسن التطير

عن عكرمة قال : كنا جلوسا عند ابن العبـــاس وابن عمر فطار غراب يصيح فقال رجل من القوم : خير خير ، فقال ابن العباس : لا خير ولا شر والذى حضرنا من الشعر فى مثله لابن الشيص :

ما فرق الاحباب بعـــ ـــد الله الا الابـــل
والناس يلحون غـــرا ب البين لما جهـــلوا
وما على ظهـــر غـــرا ب البين تطوى الرحل
ولا اذا صاح غـــرا ب فى الديار ارتحلوا
وما غـــراب البـــين ا لا ناقة او جمـــل

وقال آخر :

اترحل عمن انت صب بمثـــله
وتلحى غراب البين انك تظـــلم
اقم فغـراب البين غير مفـــرق
ولا ياتى الا على الفصـــل يحـــكم

وقال آخر :

غلط الذين رأيتهـــم بجهـــالة
يلحـــون كلهم غرابا ينـــعـــق
ما الذنب الا للجمـــال فانهـــا
مما يشتت شـــملهم ويفـــرق
ان الغراب بيمنـــه يدني النـــوى
وتشقت الشمل الجميع الانيـــق

وقال آخر :

لا يعلم المرء ليـــلا ما يصـــبحه
الا كواذب مما يخبـــر الفـــال
والفال والزجر والكهـــان كلهـــم
مضـــللون ودون الغيب اقفـــال

(ضده)

حكي عن النعمان بن المنذر أنه خرج متصيدا ومعه عدى بن زيد العبادى ، فمر بآرام ـ وهى القبور ـ فقال عدى : أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه الآرام ؟ قال : انها تقول :

أيها الركب المخفـــو ن على الارض تمـرون
لكما كنتم فكنـــا وكما كنـــا تكونون

فقال : أعد فأعادها فترك صيده ورجع كئيبا • وخرج معه مرة أخرى فوقف على آرام بظهر الحيرة فقال عدى: أبيت اللعن أتدرى ما تقول هذه الآرام ؟ قال : انها تقول :

رب ركب قد أناخـوا عنـــدنا
يشربون الخمر بالمـــاء الـــزلال
ثم أضحوا عصـف الدهر بهــم
وكذاك الدهـــر حالا بعـد حال

فانصرف وترك صيده • قال ولما خرج خالد بن الوليد الى أهل الردة انتهى الى حى من تغلب فأغار عليهم وقتلهم ، وكان رجل منهم جالسا على شراب له وهو يغنى بهذا البيت :

الا عللانى قبـــل جيش ابى بكر
لعل منايانا قـــريب وما ندرى

فوقف عليه رجل من أصحاب خالد فضرب عنقه فاذا رأسه فى الجفنة التى كان يشرب منها • وهذا كقولهم :

ان البلاء موكل بالمنطـــق

١٦ ـ محاسن الوفاء

قيل فى المثل : أوفى من فكيهة ، وهى امرأة من بنى قيس ابن ثعلبة كان من وفائها أن السليك بن سلكة غـزا بكر بن وائل فلم يجد غفلة يلتمسها ، فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا : ان هذا الاثر قدم ورد الماء ، فقعدوا له فلما وافى حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فكيهة فاستجار بها فأدخلته تحت درعها فانتزعوا خمارها فنادت اخوتهـــا فجاءوا عشرة فمنعوهم منها ، قال : وكان سليك يقول : كانى

أجد خشونة شعراستها على ظهرى حين أدخلتنى تحت درعها، وقال :

لعمر أبيـــك والانبــــاء تنمى
لنعم الجــار أخـــت بنى عــوارا
من الخفرات لم تفضـــــح أخاها
ولم ترفع لوالدها شـــــــنارا
عنيت به فكيهـــــة حين قامت
لنصل السيف فانتزعوا الخمـــارا

ويقال أيضا : هو أوفى من أم جميل ، وهى من رهط ابن أبى بردة من دوس ، وكان من وفائها أن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى قتل رجلا من الازد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضرار بن الخطاب الفهرى ليقتلوه فعدا حتى دخـــل بيت أم جميل وعاذ بها ، فقامت فى وجوههم ودعت قومها فمنعوه لها ، فلما ولى عمر بن الخطاب ظنت أنه أخوه فأتته بالمدينـــة فلما انتسبت له عرف القصة فقال : انى لست بأخيه الا فى الاسلام وهو غاز وقد عرفنا منتك عليه واعطاها على أنها ابنة سبيل ويقال : أوفى من السموءل بن عاديا ، وكان من وفائه أن أمرأ القيس بن حجر لما أراد الخروج الى قيصر اســـتودع السموءل دروعا له فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرر منه السموءل فأخذ الملك ابنا له خارج الحصن وصاح يا سموءل هذا ابنك فى يدى وقد علمت أن أمرأ القيس ابن عمى وأنا أحق بميراثه فان دفعت الى الدروع والا ذبحت ابنك ، فقال : أجلنى فأجله ، فجمع أهل بيته فشاورهم فكلهم أشاروا بدفع الدروع وان يستنقذ ابنه ، فلما أصـــبح أشرف عليه وقال : ليس لى الى دفع الدروع سبيل فاصـــنع ما أنت صانع ، فذبح الملك ابنه وهو ينظر اليه وكان يهوديا، وانصرف الملك ووافى السموءل بالدروع الموسم فدفعها الى ورثة امرىء القيس ، وقال فى ذلك :

وفيت بأدرع الكنـــدى أنى ‏ ‏ اذا ما خان اقـــوام وفيت
وقالوا عنده كنز رهيـــب ‏ ‏ فلا وابيك أغدر ما مشيت
بنى لى عاديا حصنا حصينا ‏ ‏ وبئرا كلما شئت استـقيت

وفى ذلك يقول الاعشى :

كن كالسموءل اذ طـاف الهمام به
فى جحفل كسواد الليـــل جرار
بالأبلق الفرد من تيماء منـــزلة
حصن حصـــين وجار غير غـــدار
خيره خطتى خســـف فقـــال له
مهما تقولن فانى ســـامع حـــار
فقال ثكل وغدر انت بينهمـــــا
فاختر فمـــا فيهما حـظ لمختـــار
فشك غير طـــــويل ثم قال له
أقتل أســـيرك انى مانع جارى

ويقال : أوفى من الحارث بن‌عباد ، وكان من وفائه أنه أسر عدى بن ربيعة ولم يعرفه فقال له : دلنى على عدى بن ربيعة ولك الامان فقال : أنا آمن ان دللتك عليه ، قال : نعم . قال: فأنا عدى بن ربيعة فخلاه ، وفى ذلك يقول الشاعر :

لهف نفسى على عدى وقد شـــا
رفه الموت واجتـــوته المنـون

ويقال : هو أوفى من عوف بن محـــلم ، وكان من وفائه ان مروان القرظ غزا بكر بن وائل ففضوا جيشه وأسره رجـل منهم وهو لا يعرفه فأتى به أمه ، فقالت : انك تختال بأسيرك كانك جئت بمروان القرظ فقال لها مروان : وما ترجـــين من مروان ؟ قالت : عظم فدائه ، قال : وكم ترجين من فدائه ؟. قالت : مائة بعير . قال مروان : لك ذلك على أن تردينى الى

خماعة بنتعوف بن محلم ، قالت : ومن لى بالمائة فأخذ عودا من الارض وقال هذا لك، فمضت به الى بيت عوف، فاستجار بخماعة ابنته فبعثت به الى عوف ثم ان عمرو بن هند بعث الى عوف أن يأتيه بمروان وكان واجدا عليه فى شيء ، فقال عوف لرسوله : ان خماعة ابنتى قد أجارته ، فقال: ان الملك قد آلى أن يعفو عنه أو يضع كفه فى كفه ، فقال عوف : يفعل ذلك على أن تكون كفى بين أيديهما ، فأجابه عمرو الى ذلك فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوضع يده فى يده ووضع يده بين أيديهما فعفا عنه . ومنهم الطائى صاحب النعمان ابن المنـــذر ، وكان من وفائه أن النعمان ركب فى يوم بؤسه وكان له يومان يوم بؤس ويوم نعيم لم يلقه أحد فى يوم بؤسه الا قتله ولا فى يوم نعيمه الا أحياه وحباه وأعطاه ، فاستقبله فى يوم بؤسه اعرابى من طيىء فقال : حيا الله الملك ان لى صبية صغارا لم أوص بهم أحدا فان رأى الملك أن يأذن لى فى اتيانهم وأعطيه عهد الله أن أرجع اليه اذا أوصيت بهم حتى أضع يدى فى يده ، فرق له النعمان وقال له : لا الا أن يضمنك رجل ممن معنا فان لم تأت قتلناه ، وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل فنظر اليه الطائى وقال :

يا شريك ابن عمـــرو ... هل من الموت محـــالة
يا اخا كل مضـــاف ... يا اخا من لا أخا له
يا أخا النعمان فك الـ ... ـيوم عن شيخ غلاله
ابن شـــيبان قبيـــل ... أصلح الله فعـــاله

فقال شريك: هو على أصلح الله الملك، فمضى الطائى وأجل له أجلا يأتى فيه ، فلما كان ذلك اليوم أحضر النعمان شريكا وجعل يقول له : ان صدر هذا اليوم قد ولى وشريك يقول : ليس لك على سبيل حتى نمسى فلما أمسوا أقبل شخص والنعمان ينظر الى شريك ، فقال شريك : ليس لك على سبيل حتى يدنو الشخص فلعله صاحبى ، فبينما هما كذلك اذ أقبل الطائى

فقال النعمان : والله ما رأيت أكرم منكما وما أدرى أيكما أكرم
.. أهذا الذى ضمنك وهو الموت أم أنت وقد رجعت الى القتل؟
والله لا أكون ألأم الثلاثة فأطلقه وأمر برفع يوم بؤسه، وأنشد
الطائى :

ولقد دعتنى للخلاف عشيرتى فأبيت عند تجهم الاقوال
انى امرؤ منى الوفاء سجية وفعال كل مهذب بذال

فقال النعمان : ما حملك على الوفاء ، قال : دينى ، قال :
وما دينك؟ قال : النصرانية ، قال : اعرضها على فعرضها عليه
فتنصر النعمان .

(ضده)

قيل : كتب صاحب بريد همذان الى المأمون وهو بخراسان
يعلمه أن كاتب صاحب البريد المعزول أخبره أن صاحبه وصاحب
الخراج كانا تواطأ على اخراج مائتى ألف درهم من بيت المال
وأقسماها بينهما ، فوقع المأمون : انا نرى قبول السعاية شرا
من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل
على شيء كمن قبله وأجازه ، فأنف الساعى عند ذلك وقال :
يا أمير المؤمنين رضى الله عنك المعذرة فان الساعى وان كان فى
سعايته صادقا ، لقد كان فى صدقه لئيما، اذ لم يحفظ الحرمة
ولم يف لصاحبه . قال : ودخل رجل على سليمان بن عبدالملك
فقال : يا أمير المؤمنين عندى نصيحة ، قال : وما نصيحتك
هذه ؟ قال : فلان كان عاملا ليزيد بن معاوية وعبد الملك
والوليد فخانهم فيما تولاه ثم اقتطع أموالا كثيرة جليلة فمر
باستخراجها منه ، قال : انت شر منه وأخون حيث أطلعت على
أمره وأظهرته ولولا انى أنفر النصاح لعاقبتك ولكن اختر منى
خصلة من ثلاث ، قال : اعرضهن يا أمير المؤمنين ، قال : ان
شئت فتشنا عما ذكرت ، فان كنت صادقا مقتناك ،وان كنت
كاذبا عاقبناك ، وان استقلت أقلناك ، فاستقال الرجل

١٧ ـ محاسن السخاء

روى عن نافع قال · لقى يحيى بن زكريا عليه السلام ابليس لعنه الله فقال : أخبرنى بأحب الناس اليك وأبغضهم اليك · قال : أحبهم الى كل مؤمن بخيل وأبغضهم الى كل منافق سخى قال : ولم ذاك ؟ قال : لأن السخاء خلق الله الاعظم فأخشى أن يطلع عليه فى بعض سخائه فيغفر له · وقال النبى صلى الله عليه وسلم (السخى قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ، والجاهل سخى احب الى الله عز وجل من عابد بخيل وأدوأ الداء البخل) وقال صلى الله وسلم (ما أشرقت شمس الا ومعها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الجن والانس وهما الثقلان : اللهم عجل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وملكان يناديان : أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى) وعن الشعبى قال : قالت أم البنين ابنة عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحت الوليد بن عبد الملك : لو كان البخل قميصا ما لبسته أو طريقا ما سلكتها ، وكانت تعتق فى كل يوم رقبة ، وتحمل على فرس فى سبيل الله ، وكانت تقول : البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة ·

وقيل اعتقت هند بنت عبد المطلب فى يوم واحد أربعين رقبة: وقال بعض الحكماء : ثواب الجود خلف ومحبة ومكافأة ، وثواب البخل حرمان واتلاف ومذمة · وقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه (يا على كن شجاعا فان الله يحب الشجاع ، وكن سخيا فان الله يحب السخى ، وكن غيورا فان الله يحب الغيور يا على ، وان انسان سألك حاجة ليس لها بأهل فكن أنت أهلا لها) ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : (السخاء شجرة فى الجنة من أخذ منها بغصن مد به الى الجنة) ، وقال عبد العزيز بن مروان: لو لم يدخل على البخلاء فى لؤمهم الاسوء ظنهم بالله عز وجل لكان عظيما ، وقال صلى الله عليه وسلم (تجافوا عن ذنب السخى فان الله اخذ بيده كلما عثر) · وقال بهرام جور : من أحب أن يعرف

فضل الجود على سائر الاشياء فلينظر الى ما جاد الله به على الخلق من المواهب الجليلة ، والرغائب النفيسة والنسيم والريح كما وعدهم الله فى الجنان فانه لولا رضاه الجود لم يصطفه لنفسه وقال الموبذان لابرويز : أكنتم تمنون أنتم وآباؤكم بالمعروف وتترصدون عليه المكافأة ؟ قال لا : ولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا فكيف نرى ذلك وفى كتاب ديننا من فعل معروفا خفيا وأظهره ليتطول به على المنعم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهـــره واستوجب الا نعده من الابرار ولا نذكره فى الاتقياء والصالحين؟ قيل : وسئل الاسكندر ما أكبر ما شيدت به ملكك ؟ قـــال : ابتدارى الى اصطناع الرجال والاحسان اليهم . قال : وكتب ارسطاطاليس فى رسالته الى الاسكندر : واعلم ان الايام تأتى على كل شىء فتخلقه وتخلق آثاره وتميت الافعال الا ما رسخ فى قلوب الناس فأودع قلوبهم محبة آبدة تبقى بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشرف آثارك . قال : ولما قدم بزرجمهر الى القتل قيل له : آنك فى آخر وقت من أوقات الدنيا وأول وقت من أوقات الاخرة فتكلم بكلام تذكر به فقال : أى شىء أقول ؟ الكلام كثير ولكن ان أمكنك أن يكون حديثا حسنا فافعل . قيـــل : وتنازع رجلان أحدهما من أبناء العجم والاخر أعرابى فى الضيافة فقال الاعرابى : نحن أقرى للضيف . قال: وكيف ذلك ؟ قال: لان أحدنا ربما لا يملك الا بعيرا فاذا حل به ضيف نحره له ، فقال له الاعجمى : فنحن أحسن مذهبا فى القرى منكم ،قال : وما ذاك ؟ قال : نحن نسمى الضيف مهمان ومعناه انه أكبر من فى المنزل وأملكنا به ؟ وقال بعض الحكماء : بلغ الجود من قام بالمجهود . وقيل : الجواد من لم يضن بالموجود . وقال المأمون: الجود بذل الموجود والبخل سوء الظن بالمعبود . قيـــل : وشكا رجل الى أياس بن معاويه كثرة ما يهب ويصل الناس وينفق . قال : ان النفقة داعية الرزق وكان جالسا على باب فقال للرجل أغلق هذا الباب فأغلقه فقال : هل تدخل فيه الريح ؟ قال : لا . قال : فافتحه ففتحه فجعلت الريح تخترق فى البيت فقـــال :

هكذا الرزق أغنقت فلم تدخل الريح فكذلك اذا أمسكت لم يأتك الرزق . قيل : ووصل المأمون محمد بن عياد المهلبى بمائة ألف دينار ففرقها على اخوانه فبلغ ذلك المأمون فقال : يا أبا عبدالله ان بيوت الاموال لا تقوم بهذا . فقال يا أمير المؤمنين البخـــل بالموجود سوء الظن بالمعبود . وعن أمية ابن يزيد الاموى قال : كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج ، فقال له قولا ضعيفا فيه وعد وقلة طماع ، فلما قام من عنده ومضى دعا صاحب خزانته فقال أعطه أربعمائة دينار فاستكثرناها وقلنا : كنت رددت عليه ردا ظننا انك تعطيه شيئا قليلا فاذا أنت أعطيته أكثر مما امل ، فقال : انى احب ان يكون فعلى أحسن من قولى . وبحاتم يضرب المثل فى السخاء . فحدثنا عن بعض حالات حاتم قيل : كان حاتم جوادا شاعرا وكان حيثما نزل عرف منزله وكان ظفرا اذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح سبق واذا أسر أطلق ، وكان أقسم ألا يقتل واحد أمه ، قيل : ولمـا بلغ حاتما قول المتلمس الضبعى .

قليل المـــال تصلحه فيبقى ... ولا يبقى الـكثير مع الفساد
وحفظ المـال أيسر من بغاه ... وضرب فى البـلاد بغير زاد

فقال : ما له قطع الله لسانه يحرض الناس على البخل أفلا قال :

فلاالجود يفنى المال قبل فنائه ... ولاالبخل فى مال الشحيح يزيد
فلا تلتمس رزقا بعيش مقتر ... لـكل غد رزقا يعـود جديد
ألم تر أن الرزق غاد ورائح ... وأن الذى أعطاك سوف يعيد

قيل : ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره القرى فنحر ناقة الضيف وعشاه وغداه وقال : انك قد أقرضتنى ناقتك فاحتكم على . قال : راحلتين . قال : لك عشرون أرضيت ؟ قال : نعم وفوق الرضى . قال : لك أربعون . ثم قال لمن بحضرته من قومه : من أتانا بناقة فله ناقتـــان بعد الغارة ، فأتـــوه

بأربعين فدفعهـــا الى الضيف • وحكوا عن حاتم أنه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة ، فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير فيهم : يا أبا سفانة قد أكلني الاسار والقمل • قال : والله ما أنا في بلادي ولا معي شيء ، وقد أسأت الى أن نوهت باسمي ، فذهب الى العنزيين فساومهم فيـــه واشتراه منهم وقال : خلوا عنه وأنا أقيم مكانه في قيده حتى أؤدي فداه ، ففعلوا فأتاهم بفداء • قيل : ولما مات حاتم خرج رجل من بني أسد يعرف بأبي الخيبري في نفر من قومه ، وذلك قبل أن يعلم كثير من العرب بموته فأناخوا بقبره فقـــال : والله لأحلفن للعرب أني نزلت بحـاتم وسألته القرى فلم يفعل وجعل يضرب القبر برجله ويقول :

عجل أبا ســـــفانة قراكا فسوف أنبي سائلي ثنـــاكا

فقال بعضهم : مالك تنادي رمة وباتوا مكانهم ، فقام صاحب القول من نومه مذعورا فقال : ياقوم عليكم مطاياكم فان حاتما أتاني فأنشدني :

أبا الخيبـــري وأنت امرؤ ظلوم العشـــيرة شتامها
فمـــاذا أردت الى رمـــة بدوية صخبت هامهـــا
تبغي أذاها واعســــارها وحـولك طي وأنعامهـــا
وانا لننعم أضـــيافنا من الـكوم بالسيف نعتامها

وقيل في المثل : هو أجود من كعب بن مامة ، وكان من اياد وبلغ من جوده أنه خرج في ركب فيهم رجـل من بني النمر ابن قاسط في شهر ناجر، وألجاهم العطش فضلوا فتصافنوا ماءهم فجعل النمري يشرب نصيبه ، فاذا أراد كعب أن يشرب نصيبه قال : آثر أخاك النمري فيؤثره حتى أضر به العطش ، فلما رأى ذلك استحث ناقته وبادر حتى رفعت له أعلام المـاء وقيل له : رد كعب فانك وراد فمات قبل أن يرد ونجا رفيقه، ومن قول أبي تمام :

هوالبحر من أىالنواحىأتيته فلجته المعروف والجودساحله
كريماذا ماجئت للعرف طالبا حباك بما تحوى عليه أنامله
فلو لم يكن فى كفه غير نفسه لجاد بهـا فليتق الله سائله

وللبحترى :

لو أن كفك لم تجــد لمؤمل لـكفاه عاجل وجهك المتهلل
ولو أن مجدك لم يكن متقادما أغنـاك آخر سؤدد عن أول

ولبكر بن النطاح فى أبى دلف :

بطل بصدر حسامه وسنانه أجلان من صـدر ومن ايراد
ورث المكارم وابتناها قاسم بصفائح وأسنة وجيـــاد
ياعصمة العرب التى لولم تكن حيا اذا كانت بغير عمـاد
ان العيون اذا رأتك حدادها رجعت من الاجلال غير حداد
واذا رميت الثغر منك بعزمة فتحت منه مواضع الأسداد
وكأن رمحك منقع فى عصفر وكأن سيفك سل من فرصاد
لوصال منغضب أبودلف على بيضالسيوف لذبن فىالاغماد
أورى ونور للعداوة والهوى نارين : نار دم ونار زناد

قال أبو هفان : أنشدت هذه الابيات عبدالعزيز بن أبى دلف بسر من رأى ، فقال : هل سمعت بمثل هذه الابيات ؟ قلت : لا قال : ولغيره فى أبى دلف :

ولو يجوز لقال الناس كلهم لولا أبودلف ما أورق الشجر

قال ابن يحيى النديم : دعانى المتوكل ذات يوم وهو مخمور فقال : أنشدنى قول عمارة فى أهل بغداد فأنشدته :

من يشترى منى ملوك مخرم أبعحسنا وابنىهشام بدرهم

وأعطى رجاء بعد ذاك زيادة ... وأمنح دينــــارا بغير تندم
فان طلبوا منى الزيادة زدتهم ... أبا دلف والمستطيل بن أكثم

فقال المتوكل : ويلى على ابن البوال على عقبيه يهجو شقيق دولة العباس . قال فهل عندك من المدح فى أبى دلف القاسم بن عيسى شىء ؟ قلت : يا أمير المؤمنين قول الاعرابى الذى يقول فيه :

أبا دلف ان السماحة لم تزل ... مغللة تشكو الى الله غلهــــا
فبشرها ربى بميــلاد قاسم ... فأرسل جبريلا اليها فحلهــا

وقال غيره :

حر اذا جئته يوما لتســأله ... أعطاك ماملكت كفاه واعتذرا
يخفى صنائعه والله يظهرها ... ان الجميل اذا أخفيته ظهرا

وقال آخر :

فتى عاهد الرحمن فى بــذل ماله
فليس تراه الدهر الا على العهــد
فتى قصرت آماله عن فعـــــاله
فلست تراه الدهر الا على العهـــد

وقال آخر :

اذا ما أتاه السائلون توقدت ... عليه مصابيح الطلاقة والبشر
له فى ذوى المعروف نعمى كأنها ... مواقع ماء المزن فى البلد القفر

وقال آخر :

عاد السرور اليك فى الاعياد ... وسعدت من دنياك بالاسعاد
رفقا بعبد جل ما أوليتـــه ... رفقا فقــــد أثقلته بأيادى

ملأ النفوس مهابة ومحبة ... بدر بدا متغمرا بسواد
ما ان أرى لك مشبها فيمن أرى ... ان الكرام قليلة الانداد

وقال فى ابن أبى دؤاد :

بدا حين أثرى باخوانه ... فقلل عنهم شباة العدم
وحذره الحزم صرف الزمان ... فبادر قبل انتقال النعم
فليس وان بخل الباخلو ... ن يقرع سنا له من ندم
ولا ينكث الارض عند السؤال ... ليمنع سؤاله عن نعم

ويروى فى الحديث : أنه لا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد صالح أبدا • ويقولون : الشحيح أغدر من الظالم أقسم الله بعزته لا يساكنه بخيل فى جنته • وقال النبى صلى الله عليه وسلم : (من فتح له باب من الخير فلينتهزه فانه لا يدرى متى يغلق عنه) • وقال الشاعر فى ذلك :

ليس فى كل ساعة وأوان ... تتهيا صنائع الاحسان
فاذا أمكنت تقدمت فيها ... حذرا من تعذر الامكان

وذكر عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه : أن أمير المؤمنين عليا صلوات الله عليه بعثه الى حكيم بن حزام بن خويلد يسأله مالا فانطلق به الى منزله ، فوجد فى الطريق صوفا فأخذه ومر بقطعة كساء فأخذها ، فلما صار الى المنزل أعطاه طرف الصوف فجعل يفتله حتى صيره خيطا ، ثم دعا بغرارة مخرقة فرقعها بالكساء وخيطها بالخيط وصر فيها ثلاثين ألف درهم فحملت معه • قال : وأتى قوم قيس بن سعد بن عبادة الانصارى رحمه الله يسألونه فى حمالة فصادفوه فى حائط له يتتبع مايسقط من الثمر فيعزل جيده ورديئه على حدة ، فهموا بأن يرجعوا عنه وقالوا : مانظن عنده خيرا ثم كلموه فأعطاهم ، فقال رجل من القوم : لقد رأيناك تصنع شيئا لا يشبه فعالك •

فقيال : وماذاك ؟ فأخبروه فقــال : ان الذى رأيتم يئول الى إجتماع ماينفع وينمو . ومنها قيـــل : الذود الى الذود ابل وأنشدوا :

رب كبير هاجه صـــغير وفى البحور تغـرق البحور

وقد آخر :

قد يلحـق الصغير بالجليل وانما القرم من الافيــــل

وسحق النخيل من الفسيل

قال : وأتى رجل طلحة بن عبيد الله فسأله حمالة فرآه يهنأ بعيرا له ، فقال: يا غلام أخرج اليه بدرة فقبضها ، وقال :أردت أن أنصرف حين رأيتك تهنأ البعير . فقال : انا لا نضيع الصغير ولا يتعاظمنا الـكبير .

١٨ ـ مساوىء البخل

المثل الثائر فى البخل : هو أبخل من مادر ، وهو رجل من بنى هلال ابن عامر بلغ من بخـله أنه كان يسقى ابله فبقى فى أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض به فسمى مادرا . وذكروا أن بنى هلال وبنى فزارة تنافروا الى أنس بن مدرك وتراضوا به ، فقــال بنو هلال : يابنى فزارة أكلتم اير الحمار ، فقال بنو فزارة : لم نعرفه ، وكان سبب ذلك أن ثلاثة اصطحبوا : فزارى ، وثعلبى ، وكلابى ، فصادفوا حمار وحش ، ومضى الفزارى فى بعض حوائجه ، فطبخا وأكلا وخبآ للفزارى اير الحمار . فلما رجع قالا : قد خبأنا لك حقك فكل ، فاقبل يأكل ولا يسيغه ، فجعلا يضحكان . ففطن واخذ السيف وقام اليهما وقال : لتأكلان منه أو لأقتلنكما فامتنعا فضرب أحدهما فقتله وتناوله الآخر فأكل منه ، فقال فيهم الشاعر :

نشدتك يا فزار وأنت شيخ اذا خيرت تخطىء فى الخيار

فقال بنو فزارة : منكم يابنى هلال من سقى ابله فلما رويت سلح فى الحوض ومدره بخلا ، فنفرهم أنس بن مدرك على الهلاليين • فأخذ الفزاريون منهم مائة بعير ، وكانوا قد تراهنوا عليها ، وفى بنى هلال يقول الشاعر :

ولـكن يرى مشرقا وجهـــه ليرغـم فى ماله من رغـم

لقـــد جللت خزيا هلال بن عامر

بنى عامر طرا بســـــلحة مادر

فأف لـكم لا تذكروا الفخر بعدها

بنى عامر أنتم شرار العشـــائر

وفى المثل : هو أبخل من أبى حباحب ، وهو رجل فى الجاهلية بلغ من بخله أنه كان يسرج السراج ، فاذا أراد أحد أن يأخذ منه أطفأه ، فضرب به المثل • ومنهم من صاحب نجيح بن سلكة اليربوعى فانه ذكر : أن نجيحـا اليربوعى خرج يوما يتصيد فعرض له حمار وحش فاتبعه حتى دفع الى أكمـة ، فاذا هو برجل أعمى أسود قاعد فى أطمار بين يديه ذهب وفضة ودر وياقوت فدنا منه فتناول بعضها ولم يستطع أن يحرك يده حتى ألقاه ، فقال : ياهذا ماهذا الذى بين يديك وكيف يستطاع أخذه وهل هو لك أم لغيرك فانى أعجب مما أرى ، أجواد أنت فتجود لنا أم بخيل فأعذرك ؟ • فقال الأعمى : اطلب رجلا فقد منذ سنين هو سعد بن خشرم بن شماس فأتنى به نعطك ماتشاء ، فانطلق نجيح مسرعا قد استطير فؤاده حتى وصل الى قومه ، ودخل خبـــاءه ووضع رأسه فنام لما به من الغم لا يدرى من سعد بن خشرم ، فأتاه آت فى منامه فقال له : يا نجيح ان سعد بن خشرم فى حى بنى محلم من ولد ذهـل

ابن شيبان ، فسأل عن بني محلم ثم سأل عن خشرم بن شماس فاذا هو بشيخ قاعد على باب خبائه فحياه نجيح فرد عليــه السلام ، فقال له نجيح : من أنت ؟ قال : أنا خشرم بنشماس قال له : فأين ولدك سعد ؟ قال : خرج في طلب نجيح اليربوعي وذلك أن آتيا أتاه في منــامه فحدثه أن مالا له في نواحي بني يربوع لا يعلم به الا نجيح اليربوعي ، فضرب نجيح فرسه ومضى وهو يقول :

أيطلبني من قد عناني طلابه   فياليتني ألقاكسعدبنخشرم

أتيت بني يربوع تبغي لقاءنا   وجئت لــكي ألقاك حي محلم

فلما دنا من محلته استقبله سعد ، فقال له نجيح : أيها الراكب هل لقيت سعدا في بني يربوع ؟ قال : أنا سعد فهل تدل على نجيح ؟ قال : أنا نجيح وحدثه بالحديث ، فقال : الدال على الخير كفاعله ـ وهو أول من قالها ـ فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان ، فتوارى الرجل الاعمى عنهما وترك المــال فأخذه سعد كله ، فقال نجيح : ياسعد قاسمني ، فقال له أطوعني وعن مالي كشحا ، وأبى أن يعطيه شيئا ، فانتضى نجيح سيفه فجعل يضربه حتى برد ، فلما وقع قتيلا تحول الرجل الحافظ للمال سعلاة ، فأسرع في أكل سعد وعاد المــال الى مكانه ، فلما رأى نجيح ذلك ولى هاربا الى قومه . قيل : وكان أبو عبس بخيــــلا وكان اذا وقع الدرهم في يده نقره باصبعه ، ثم يقول : كم من مدينة قد دخلتها ويد قد وقعت فيها . الآن استقر بك القرار واطمأنت بك الدار ، ثم يرمي به في صندوقه ، فيكون آخر العهد به . قيل : ونظر سليمان بن مزاحم الى درهم فقال في شق : لا اله الا الله ، وفي شق : محمد رسول الله ماينبغي أن تكون الا معاذة وقذفه في صندوقه . وذكروا أنه كان بالري عامل على الخراج يقال له المسيب ، فأتاه

شاعر يمتدحه فلم يعطه شيئا ، ثم سعل سعلة فضرط ، فقال الشاعر :

أتيت المسيب فى حاجة   فما زال يسعل حتى ضرط
فقال غلطنا حساب الخراج   فقلت من الضرط جاء الغلط

فما زالوا يقولون ذلك حتى هرب منها من غير عزل • قال : وكتب أرسطاطاليس الى رجل بشيء فلم يفعل ، فكتب اليه : ان كنت أردت فلم تقدر فمعذور ، وان كنت قد قدرت ولم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر •

قال : وسمع أبو الاسود الدؤلى رجلا يقول : من يعشى الجائع ؟ فعشاه ، ثم قام الرجل ليخرج فقال : هيهات تخرج فتؤذى الناس كما آذيتنى ، ووضع رجله فى الادهم حتى أصبح • قال : وكان رجل يأتى ابن المقفع فيلح عليه وسأله ان يتغذى عنده ويقول : لعلك تظن أنى أتكلف لك شيئا والله لا أقدم لك الا ماعندى ، فلما أتاه لم يجد فى بيته الا كسرا يابسة وملح جريش • وجاء سائل الى الباب فقال له : وسع الله عليك ، فلم يذهب فقال : والله لئن خرجت اليك لادقن رأسك ، فقال ابن المقفع للسائل : ويحك لو عرفت من صدق وعيده ما أعرف من صدق وعده لم تزد كلمة ولم تقم طرفة عين ! قال : وكتب ابراهيم بن سيابة الى صديق له كثير المال يستسلفه ، فكتب اليه : العيال كثير والدخل قليل والمال مكذوب عليه ، فكتب اليه : ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا ، وان كنت صادقا فجعلك الله معذورا • وكتب آخر الى آخر يصف رجلا : أما بعد فانك كتبت تسأل عن فلان كأنك هممت به أو حدثتك نفسك بالقدوم اليه فلا تفعل ، فان حسن الظن به لا يقع فى الوهم الا بخذلان الله ، والطمع فيما عنده لا يخطر على القلب الا بسوء التوكل على الله ، والرجاء فيما

في يده لا ينبغي الا بعد اليأس من رحمة الله . انه يرى الايثار الذى يرضى به التبذير الذى يعاقب عليه ، والاقتصاد الذى أمر به الاسراف الذى يعـــاقب عليه ، وان بنى اسرائيل لم يستبدلوا العدس والبصل بالمن والسلوى الا للؤم أخلاقهم وقديم دناءتهم ، وأن الصنيعة مرفوعة ، والصلة موضوعة ، والهبة مكروهة ، والصدقة منحوسة ، والتوسع ضلالة ، والجود فسوق ، والسخاء من همزات الشياطين ، وأن مواساة الرجال من الذنوب الموبقة ، والافضــــال عليهم من احدى الـكبائر . وأيم الله انه يقول : ان الله لا يغفر أن يؤثر المرء فى خصاصة على نفسه ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، ومن آثر على نفســـه فقد ضل ضلالا بعيدا ، كأنه لم يسمع بالمعروف الا فى الجاهلية الذين قطع الله أدبارهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم ، وان الرجفة لم تأخذ أهل مدين الا لسخاء كان فيهم ، ولا أهلكت الريح عادا الا لتوسع كان منهم ، فهو يخشى العقاب على الانفاق ويرجو الثواب على الاقتار ، ويعد نفسه خاسرا أو يعدها الفقر ويأمرها بالبخل خيفة أن تمر به قوارع الدهر ، وأن يصيبه ما أصاب القرون الاولى . فأقم رحمك الله مكانك واصطبر على عسرك عسى الله أن يبدلنا واياك خيرا منه زكاة وأقرب رحما .

ولبعض الكتاب : أما بعد فان كثير المواعيد من غير نجح عار على المطلوب اليه ، وقلتها مع نجح الحاجة مكرمة من صاحبها ، وقد رددتنا فى حاجتنا هذه فى كثرة مواعيدك من غير نجح لها حتى كأنا قد رضينا بالتعلل لها دون النجاح كقول القائل :

لا تجعلنـــا ككمون بمزرعة ... ان فاته المـــاء أروته المواعيد

وكتب آخر : مارأيت مثل طيب قولك أمره سوء فعلك ، ولا مثل بسط وجهك خالفه طول تنكيدك ، ولا مثل قرب عدتك باعدها افراط مطلك ، ولا مثل أنس مذاهبك أوحش منه اختبار عواقبك ، حتى كأن الدهر أودعك لطيف الحيلة بالمـكر أهل الحلة ، وكأنه زينك فيه بالخديعة لتدرك منهم فرصـــــة

الهلكة • وقد قيل : وعد الكريم نقد وتعجيل ، ووعد اللئيم مطل وتأجيل • وقال بعضهم : وعدتنا مواعيد عرقوب ، ومطلتنا مطل نعاس الكلب ، وغررتنا غرور السراب ، ومنيتنا أماني الكمون • ولبعضهم : أما بعد ، فلا تدعى معلقا بوعدك فالعذر الجميل أحسن من المطل الطويل ، فان كنت تريد الانعام فانجح وان تعذرت الحاجة فأوضح واعلمنى ذلك لأصرف وجه الطلب الى غيرك • وذكروا أن فتى من مراد كان يختلف الى عمرو ابن العاص ، فقال له ذات يوم : ألك امرأة ؟ قال : لا ، قال : فتزوج وعلى المهر ، فرجع الى أمه فأخبرها الخبر فقالت :

اذا حدثتك النفس أنك قادر
على ما حوت أيدى الرجال فكذب

فتزوج وأتى عمرا بن العاص فاعتل عليه ولم ينجز وعده ، فشكا ذلك الى أمه فقالت :

لاتغضبن على امرىء فى ماله وعلى كرائم حر مالك فاغضب

ووصف اعرابى رجلا فقال له : بشر مطمع ومطل مؤيس وكنت منه أبدا بين الطمع واليأس لا بذل سريح ولا مطل مريح ، وقال اعرابى : أنا من فلان فى أمانى تهبط العصم وخلف يذكر العدم ، ولست بالحريص الذى اذا وعده الكذوب علق نفسه لديه وأتعب راحلته اليه ، وذكر اعرابى رجلا فقال له : مواعيد عواقبها المطل وثمارها الخلف ومحصولها اليأس ويقال سرعة اليأس أحد النجحين ، وقال بعضهم : مواعيد فلان مواعيد عرقوب ، ولمع الآل وبرق الخلب ، وأمانى الكمون ونار الحباحب ، وصلف تحت الراعدة ، ومما قيل فى ذلك :

أروح وأغدو نحوكم فى حوائجى
فاصبح فيها غدوة كالذى أمسى

وقد كنت أرجو للصديق شفاعتى
فقد صرت أرضى أن أشفع فى نفسى

ولأبى نواس :

وعـدتنى وعـدك حتى اذا	اطمعتنى فى كنـز قارون
جئت من الليل بغسـالة	تغسل ما قلت بصـابون

ولأبى تمام :

يحتـاج من يرتجى نوالـكم	الى ثلاث من غـير تكـذيب
كنـوز قارون أن تكون له	وعمـر نوح وصـبر أيوب

وقال آخر :

انى رأيت من المكارم حسـبكم
أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

وقال حسان بن ثابت :

انى لأعجب مـن قول غررت به
حلو يمـد اليه السـمع والبصر
لو تسمع العصم من صم الجبال به
ظلت من الراسيات العصم تنحدر
كالخمر والشهد يجرى فوق ظاهره
وما لباطنـه طعـم ولا خبـر
وكالسراب شبيها بالغـدير وان
تبـغ السراب فـلا عين ولا أثر
ولا ينبت العشب عن برق وراعدة
غراء ليس لها سـيل ولا مطـر

وقال آخر :

رأيت أبا عثمان يبـذل عرضـه
وخبز أبى عثمان فى أحرز الحـرز

يحن الى جاراته بعد شبعه
وجاراته غرثى تحن الى الخبز

وقال آخر :

ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة
حتى نزلت على أوفى بن منصور
الحابس الروث فى أعفاج بغلته
خوفا على الحب من لقط العصافير

وقال آخر :

نوالك دونه خرط القتاد
وخبزك كالثريا فى البعاد
ترى الاصلاح صومك لا لنسك
وكسر الخبز من عمل الفساد
أرى عمر الرغيف يطول جدا
لديك كأنه من قوم عاد

وقال آخر :

اللؤم منك على الطعام طباع
فعيال بيتك ما حييت جياع
واذا يمر بباب دارك سائل
حملت عليه نوابح وسباع
وعلى رغيفك حية مسمومة
وعلى خوانك عقرب وشجاع

وقال آخر :

ياتارك البيت على الضيف
وهاربا عنه من الخوف

ضيفك قد جاء يخبز له
فارجع وكن ضيفا على الضيف
اذا اشتهى الضيف طبيخ الشتا
أتاه بالشهوة فى الصيف
وان دنا المسكين من بابه
شد على المسكين بالسيف

وقال آخر :

رأى ضيفك بالدار وكرب الجوع يغشاه
على خبزك مكتوبا سيكفيكهم الله

وقال آخر :

لأبى نوح رغيف أبدا فى حجر داية
أبدا يمسحه الدهر بكم ووقايه
وله كاتب سر خط فيه بعناية
فسيكفيكهم الله الى آخر الآية

وقال آخر :

الخبز يبطى حين يدعو به كأنه يقدم من قاف
ويمدح الملح لأصحابه يقول هذا ملح سيراف
سيان أكل الخبز فى داره وقلع عينيه بخطاف

وقال آخر :

فتى لايغار على عرسه ولكن يغار على خبزه
فمنه يد الجود مقبوضة وكف السماحة فى عجزه

وقال آخر :

يصونون أثوابهم فى التخوت وأزواجهم بذلة فى السكك
ينحون من رام رغفانهم ويدنون من رام حل التكك

وقال آخر :

أما الرغيف على الخوان ... فمن حمامات الحرام
ما ان يجس ولا يمس ... ولا يذاق ولا يشم
فتراه أخضر يابسا ... بالى النقوش من الهرم

وقال آخر :

أتينا أبا طاهر مفطرين ... الى داره فرجعنا صياما
وجاء بخبز له حامض ... فقلت دعوه وموتوا كراما

وقال آخر :

يبخل بالماء ولو أنه ... منغمس فى وسط النيل
شحا فلا تطمع فى خبزه ... ولو تشفعت بجبريل

وعن حذيفة بن محمد الطائى قال : قال الرشيد ما لأحد من المولدين ما لأبى نواس فى الهجاء :

وما روحتنا لتذب عنا ... ولكن خفت مرزئة الذباب
شرابك كالسراب اذا التقينا ... وخبزك عند منقطع التراب

وقال آخر :

خان عهدى عمرو وما خنت عهده ... وجفانى وما تغيرت بعده
ليس لى ما حييت ذنب اليه ... غير أنى يوما تغديت عنده

وقال الخليل بن أحمد العروضى الازدى :

فكفاه لم تخلقا للندى ... ولم يك بخلهما بدعه
فكف على الخبز مقبوضة ... كما نقصت مائة تسعة
وكف ثلاثة آلافها ... وتسع مئيها لها شرعه (١)

---

(١) قلت فى هامش الاصل ما نصه وذكر جعفر بن محمد التميمى فى كتابه «الجامع فى اللغة» الشرعة المثل يقال : هذا شرعة ذاك أى مثله وعلى هذا تأولوا قول الخليل رحمه الله فكف وذكر الابيات الثلاثة ثم قال يريد مثلها أى مثل الاولى وأنا أرى أن تكون شرعة هاهنا دينا وسنة قال هذا لها دينا .

وقال ابن أبى البغل :

وكل من أجتـــديه فى بلد　　أروم مما لديه فى صـــفد
يعقد لى باليســار أربعـــة　　منقوصة تسعة الى العــدد

وقال آخر :

أتيت أبا عمــرو أرجى نواله　　فزد أبوعمرو على حزنىحزنا
فكنت كباغى القرنأسلم أذنه　　فآب بلا أذن ولم يستفدقرنا

١٩ــ محاسن الشجاعة

قيل : كان باليمامة رجل من بنى حنيفة يقال له جحدر بن مالك ، وكان لسنا فاتكا شجاعا شاعرا ، وكان قد أبر عــلى أهل هجر وناحيتها فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامل اليمامة يوبخه بتلاعب جحدر به ويأمره بالتجرد فىطلبه حتى يظفر به ، فبعث العامل الى فتية من بنى يربوع بنحنظلة فجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا جحدرا أو أتوه به أسيرا ، ووعدهم ان يوفدهم الى الحجاج ويسنى فرائضـــــهم ، فخرج الفتية فى طلبه حتى اذا كانوا قريبا منه بعثوا اليه رجلا منهم يريه أنهميريدون الانقطاع اليه والتحرم به فوثق بهم واطمأن اليهم ، فبينما هم على ذلك اذ شدوه وثاقا وقدموا بهالى العامل فبعث به معهم الى الحجاج ، وكتب يثنى على الفتية . فلمـــا قدموا على الحجاج قال له : انت جحدر ؟ قال : نعم . قال : ماحملك على مابلغنىعنك قال : جراءة الجنان ، وجفوةالسلطان وكلب الزمان ، قال : وما الذى بلغ من أمرك فيجترىء جنانك ويصلك سلطانك ولا يكلب زمانك ؟ قال : لو بلانى لوجدنى من صالحى الاعوان وبهم الفرسان وممن أوفى على أهل الزمان قال الحجاج : انا قاذفوك فى قبة فيها أسد فان قتلك كفـــانا مئونتك ، وان قتلته خليناك ووصـــــلناك قال : قد أعطيت أصلحك الله الامنية وأعظمت المنة ، وقربت المحنــة ، فأمر به فاستوثق منه بالحديد وألقى فى السجن ، وكتب الى عاملــه

بكسكر يأمره أن يصيد له أسدا ضاريا فلم يلبث العامل أن بعث اليه بأسد ضاريا، قد أبرت على أهل تلك الناحيـة ، ومنعت عامة مراعيهم ومسارح دوابهم ، فجعل منها واحدا فى تابوت يجر على عجلة ، فلما قدموا به على الحجاج أمر فألقى فى حيز وأجيع ثلاثا ، ثم بعث الى جحدر فأخرج وأعطى سـيفا ودلى عليه فمشى الى الاسد ، وأنشأ يقول :

ليث وليث فى مكان ضنك ... كلاهما ذو أنف ومحـك

وصولة فى بطشة وفتـك ... أن يكشف الله قناع الشك

وظفـرا بجؤجـؤ وبرك ... فهو أحق منـزل بتـرك

الذئب يعوى والغراب يبكى

حتى اذا كان منه على قدر رمح تمطى الاسد وزأر وحمل عليه فتلقاه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها وسقط الاسد كأنه خيمة قوضتها الريح فانثنى جحدر وقد تلطخ بدمه لشدة حملة الاسد عليه فكبر الناس ، فقال الحجاج : يا جحدر ان أحببت أن ألحقك ببلادك وأحسن صـحبتك وجائزتك فعلت بك وان أحببت أن تقيم عندنا أقمت فأسنينا فريضتك . قال : أختار صحبة الامير ، ففرض له ولجماعة أهـل بيته وأنشأ جحدر يقول :

يا جمل انك لو رأيت بسالتى ... فى يوم هيج مردف وعجاج
وتقدمى لليث أرسف نحوه ... حتى أكابده عـلى الاحراج
جهم كأن جبينه لما بدا ... طبق الرحى متفجر الاثبـاج
يرنو بناظرتين تحسب فيهما ... من ظن خالهما شعاع سراج
شثن براسـنه كأن نيوبه ... زرق المعاول أو شذاة زجاج
وكأنما خيطت عليه عباءة ... برقاء أو خلق من الديبـاج
قرنان محتضران قد ربتهما ... أم المنيـة غير ذات نتـاج
وعلمت أنى ان أبيت نـزاله ... أنى من الحجاج لست بناج

فمشيت أرسف فى الحديد مكبلا
بالموت نفسى عنـــد ذاك أناجى

والناس منهم شامت وعصابة عبراتهم لي بالحلوق شـواجى
ففلقت هامتـــه فخر كأنه أطم تقـوض مائل الابراج
ثم انثنيت وفى قميصي شاهد مما جرى من شاخب الاوداج
أيقنت أنى ذو حفـاظ ماجد من نسل أملاك ذوى أتواج
فلئن قذفت الى المنيـة عامدا انى لخيرك بعــد ذلك راجى
علم النسـاء بأننى لا أنثنى اذ لايثقن بغـيرة الازواج

وحكى عن الطفيل بن عامر العمرى قال : خرجت ذات يوم أريد الغارة وكنت رجلا أحب الوحدة ، فبينا أنا أســير اذ ضللت الطـريق الذى أردته فسرت أياما لا أدرى أين أتوجه حتى نفد زادى ، فجعلت آكل الحشيش وورق الشـجر حتى أشرفت على الهلاك ويئست من الحياة ، فبينا أنا أسيراذ أبصرت قطيع غنم فى ناحية من الطريق ، فملت اليها واذا شاب حسن الوجه فصيح اللسان فقال لى : يا بن العم أين تريد ؟ فقلت : أردت حاجة لى فى بعض المدن وما أظننى الا قد ضللت الطريق فقال : أجل ! ان بينك وبين الطريق مسيرة أيام فانزل حتى تســـتريح وتطمئن وتريح فرسك ، فنزلت فرمى لفرسى حشيشا وجاء الى بثريد كثير ولبن ثم قام الى كبش فذبحـــه وأجج نارا وجعل يكبب لى ويطعمنى حتى اكتفيت ، فلما جننا الليل قام وفرش لى وقال : قم فارم بنفسك فان النوم أذهب لتعبك ، وأرجع لنفسك ، فقمت ووضعت رأسى ، فبينا أنا نائم اذ أقبلت جارية لم تر عيناى مثلها قط حسنا وجمالا ، فقعدت الى الفتى وجعل كل واحد منهما يشكو الى صاحبه ما يلقى من الوجد به ، فامتنع على النوم لحسن حديثهما ، فلما كان فى وقت السحر قامت الى منزلها ، فلما أصبحنا دنوت منه فقلت له : ممن الرجل ؟ قال : أنا فلان بن فلان ، فانتسب لى فعرفته فقلت له : ويحك ! ان أباك لسيد قومه فما حملك

وضعك نفسك في هذا المكان ؟ فقال : أنا والله أخبرك كنت عاشقا لابنة عمي هذه التي رأيتها ، وكانت هي أيضا لي وامقة فشاع خبرنا في الناس، فأتيت عمي فسألته أن يزوجنيها فقال: يا بني والله ما سألت شططا وما هي بآثر عندي منك ، ولكن الناس قد تحدثوا بشيء ، وعمك يكره المقالة القبيحة ، ولكن أنظر غيرها في قومك حتى يقوم عمك بالواجب لك ، فقلت : لا حاجة لي فيما ذكرت وتحملت عليه بجماعة من قومي فردهم وزوجها رجلا من ثقيف له رياسة وقدر فحملها الى ههنا — وأشار بيده الى خيم كثير بالقرب منا — فضاقت علي الدنيا برحبها ، وخرجت في أثرها ، فلما رأتني فرحت فرحا شديدا فقلت لها : لاتخبري أحدا أني منك بسبيل ، ثم أتيت زوجها وقلت : أنا رجل من الازد أصبت دما وأنا خائف ، وقد قصدتك لما أعرف من رغبتك في اصطناع المعروف ، ولي بصر بالغنم ان رأيت أن تعطيني من غنمك شيئا فأكون في جوارك وكنفك فافعل . قال : نعم وكرامة . فأعطاني مائة شاة وقال لي : لا تبعد بها من الحي ، وكانت ابنة عمي تخرج الى كل ليلة في الوقت الذي رأيت وتنصرف ، فلما رأى حسن حال الغنم أعطاني هذه فرضيت من الدنيا بما ترى قال : فأقمت عنده أياما ، فبينا أنا نائم اذ نبهني وقال : يا أخا بني عامر قلت له : ما شأنك ؟ قال : ان ابنة عمي قد أبطأت ولم تكن هذه عادتها ووالله ما أظن ذلك الا لامر حادث، فحدثني فجعلت أحدثه ، فأنشأ يقول :

ما بال مية لا تأتي كعادتها ... هل هاجها طرب أو صدها شغل
لكن قلبي لا يعنيه غيركم ... حتى الممات ولا لي غيركم أمل
لو تعلمين الذي بي من فراقكم ... لما اعتذرت ولاطابت لك العلل
نفسي فداؤك قد أحللت بي حرقا ... تكاد من حرها الاحشاء تنفصل
لو كان عادية منه على جبل ... لزل وانهد من أركانه الجبل

فوالله ما اكتحل بغمض حتى انفجر عمود الصبح ، وقام ومر

نحو الحي فأبطأ عني ساعة ثم أقبل ومعه شيء وجعل يبكي عليه ، فقلت له : ما هذا ؟ قال : هذه ابنة عمي افترسها السبع فأكل بعضها ووضعها بالقرب مني فأوجع والله قلبي ، ثم تناول سيفه ومر نحو الحي فأبطأ هنيهة ثم أقبل الى وعلى عاتقه ليث كأنه حمار فقلت له : ما هذا ؟ قال : صاحبي قلت : وكيف علمته ؟ قال : اني قصدت الموضع الذي أصابها فيه وعلمت أنه سيعود الى ما فضل منها ، فجاء قاصدا الى ذلك الموضع فعلمت أنه هو فحملت عليه فقتلته ، ثم قام فحفر في الارض فأمعن وأخرج ثوبا جديداً وقال : يا أخا بني عامر اذا أنا مت فأدرجني معها في هذا الثوب ، ثم ضعنا في هذه الحفرة وهل التراب واكتب هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام :

كنا على ظهرها والعيش في مهل والدهر يجمعنا والدار والوطن
فخاننا الدهر في تفريق ألفتنا واليوم يجمعنا في بطنها الكفن

ثم التفت الى الاسد وقال :

ألا أيها الليث المدل بنفسه هبلت لقد جرت يداك لناحزنا
وغادرتني فردا وقد كنت آلفا وصيرت آفاق البلاد لناسجنا
أأصحب دهراً خانني بفراقها معاذ الهي أن أكون له خدنا

ثم قال : يا أخا بني عامر اذا فرغت من شأننا فصح في أدبار هذه الغنم فردها الى صاحبها ، ثم قام الى شجرة فاختنق حتى مات ، فقمت فأدرجتهما في ذلك الثوب ووضعتهما في تلك الحفرة ، وكتبت البيتين على قبرهما ، ورددت الغنم الى صاحبها وسألني القوم فأخبرتهم الخبر فخرج جماعة منهم فقالوا : والله لننحرن عليه تعظيما له ، فخرجوا وأخرجوا مائة ناقة وتسامع الناس فاجتمعوا الينا فنحرت ثلثمائة ناقة ثم انصرفنا . وقيل لما كان من أمر عبد الرحمن بن الاشعث

الكندي ما كان قال الحجاج اطلبوا لى شهاب بن حرقة السعدى في الاسرى أو القتلى فطلبوه فوجدوه فى الاسرى فلما أدخل على الحجاج قال له : من أنت ؟ قال : أنا شهاب بن حرقة قال : والله لأقتلنك . قال : لم يكن الامير بالذى يقتلنى . قال : ولم ؟ قال : لان فى خصالا يرغب فيهن الامير . قال : وما هن؟ قال : ضروب بالصفيحة . هزوم للكثيرة من الكتيبة . أحمى الجار وأذب عن الذمار وأجود على العسر واليسر . غير بطىء عن النصر . قال الحجاج : ما أحسن هذه الخصال فاخبرنى باشد شىء مر عليك . قال : نعم أصلح الله الامير :

بينا أنا أسير ★ ومركبى وثير ★ فى عصبة من قومى
فى ليلتى ويومى ★ يمضون كالاجادل ★ فى الحرب كالبواسل
أنا المطاع فيهم ★ فى كل ما يليهم ★ فسرت خمسا عوما
وبعد خمس يوما ★ حتى وردت أرضا ★ ما أن ترام عرضا
من بلد البحرين ★ عند طلوع العين ★ فهجتهم نهارا
ألتمس المغارا ★ حتى اذا كان السحر ★ من بعد ماغاب القمر
اذا أنا بعير ★ يقودها خفير ★ موقرة متاعا
مقبلة سراعا ★ فصلت بالسنان ★ مع سادة فتيان
فسقتها جميعا ★ أحثها سريعا ★ أريد رمل عالج
أمعج بالعناجج ★ أسير فى الليالى ★ خرقا بعيدا خالى
وقد لقينا تعبا ★ وبعد ذاك نصبا ★ حتى اذا هبطنا
من بعد ما صعدنا ★ عنت لنا بيدانه ★ قد كان فيها عانه
رميتها بقوسى ★ فى مهمة كالترس ★ حتى اذا ما امنعت
بالقفر ثم درمت ★ وردت قصرا منهلا ★ فى جوفه طعام حلا
وعنده خبيمة ★ فى جوفها نعيمة ★ عزيزة كالشمس
فاقت جميع الانس ★ فعجت مهرى عندها ★ حتى وقفت معها
حييته ثم ردت ★ فى لطف وحيت ★ فعلت يا لعوب
والطفلة العروب ★ هل عندكم قراء ★ اذ نحن بالعراء
قالت نعم برحب ★ فى لطف وقرب ★ أربع هنا عتيدا
ولا تكن بعيدا ★ حتى يجيئك عابر ★ مثل الهلال زاهر

فعجت عن قريب ★ فى باطن الكثيب ★ حتى رأيت عامرا
يحمل ليثا خادرا ★ على عتيق سابح ★ كمثل طود اللامح

قال : وكان الحجاج متكئا فاستوى جالسا ثم قال : ويحك دعنا من السجع والرجز وخذ فى الحديث ، قال نعم أيها الامير ثم نزل فربط فرسه وجمع حجارة وأوقد نارا وشق عن بطن الاسد وألقى مراقه فى النار فجعلت أصلح الله الامير أسمع للحم الاسد نشيشا فقالت له نعيمة : قد جاءنا ضيف وأنت فى الصيد . قال : فما فعل ؟ قالت : ها هو ذاك بظهر الكثيب والخيمة ، فأومأت الى ، فأتيتها فاذا أنا بغلام أمرد كأن وجهه دارة القمر فربط فرسى الى جنب فرسه ودعانى الى طعامه فلم أمتنع من أكل لحم الاسد لشدة الجوع ، فأكلت أنا ونعيمة منه بعضه وأتى الغلام على آخره ، ثم مال الى زق فيه خمر فشرب، ثم سقانى فشربت ، ثم شرب الغلام حتىأتى على آخره ، فبينما نحن كذلك اذ سمعت وقع حوافر خيلأصحابى فقمت وركبت فرسى وتناولت رمحى وصرت معهم ثم قلت : يا غلام خل عن الجارية ولك ما سواها فقال : ويلك احفظ الممالحة ، قلت : لابد من الجارية وفارس فالتفت اليها وقال لها : قفى ، ثم قال : يا فتيان هل لكم فى العافية ؟ والا فارس وفارس فبرز اليه رجل من أصحابى فقال له الغلام : من أنت ؟ فلست أقاتل من لا أعرفه ولا أقاتل الا كفؤا أعرفه . فقال : أنا عاصم بن كلبة السعدى فشد عليه وأنشد يقول :

انك يا عاصم بى لجاهل ‏ اذ رمت أمرا أنت عنه ناكل
انى كمى فى الحروب باسل ‏ ليث اذا اصطك الليوث باذل
ضراب هامات العدا منازل ‏ قتال أقران الوغى مقاتل

ثم طعنه فقتله وقال : يا فتيان هل لكم فى العافية ؟ والا فارس وفارس فتقدم اليه آخر من أصحابى فقال له الغلام :

من أنت ؟ فقال : أنا صابر بن حرقة • فشد عليـه وأنشأ يقول :

انك والاله لبست صـابرا ‌ ‌ ‌ ‌ على سـنان يجلب المقادرا
ومنصل مثل الشهاب باترا ‌ ‌ ‌ ‌ فى كف قرم يمنع الحرائرا
انى ما رمت أمـرءا فآسرا ‌ ‌ ‌ ‌ يكون قرنى فى الحروب باثرا

ثم طعنه فقتله ثم قال : يا فتيان هل لكم فى العافية ؟ والا فارس لفارس فلمـا رأيت ذلك هالنى أمره وأشفقت على أصحابى فقلت : احملوا عليه حملة رجل واحد فلما رأى ذلك أنشأ يقول :

الآن طاب المـوت ثم طابا ‌ ‌ ‌ ‌ اذ تطلبون رخصة كعـابا
ولا نريد بعدها عتابا

فركبت نعيمة فرسـها وأخذت رمحها فما زال يجـالدنا ونعيمة حتى قتل منا عشرين رجـلا فأشفقت على أصحابى فقلت : يا غلام قد قبلنا العافية والسلامة فقـال : ما كان أحسن هذا لو كان أولا ونزلنا وسالمنا • ثم قلت : يا عامر بحق المالحة من أنت ؟ قال : أنا عامر بن حرقة الطائى وهذه ابنة عمي ونحن فى هذه البرية منذ زمان ودهر ما مر بنـا انس غيركم ، فقلت : من أين طعامكم ؟ قال : حشرات الطير والوحش والسباع : فمن أين شرابكم ؟ قال : الخمر أجلبهـا من بلاد البحرين كل عـام مرة أو مرتين قلت : ان معى مائة من الابل موقرة متاعا فخذ منها حاجتك ، فقال : لا أرب لى فيها ولو أردت ذلك لكنت أقدر عليه فارتحلنا عنـه منصرفين • فقال الحجاج : الآن يا عدو الله طاب قتلك لغدرك بالفتى • قال : كان خروجى على الامير أصلحه الله أعظم من ذلك فان عفا عنى الامير رجوت ألا يؤاخذنى بغيره فأطلقه ووصله ورده الى بلده •

(فصــل)

قال : دخل أبو زبيد الطائى على عثمان بن عفان فى خلافته وكان نصرانيا فقال له : بلغنى أنك تجيد وصف الاسـد . فقال له : لقد رأيت منه منظرا وشهدت منه مخبرا لا يزال ذكره يتجدد على قلبى قال : هات ما مر على رأسك منه قال : خرجت يا أمير المؤمنين فى صيابة من أفناء قبائل العرب ذوى شارة حسنة ترتمى بنا المهارى بأكسائها القزوانيات ومعنـا البغال عليها العبيد يقودون عتاق الخيل نريد الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك الشام ، فاخروط بنا المسير فى حمـارة القيظ حتى اذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وشالت الميـاه وأذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيخد وصر الجندب وضايق العصفور الضب فى وجاره قال قائلنا : أيها الركب غوروا بنا فى دوح هذا الوادى فاذا واد كثـير الدغل دائم الغلل شجراؤه مغنة وأطياره مرنة ، فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلات فأصبنا من فضلات المذاود واتبعناها بالماء البارد ، فانا لنصف حر يومنا ومماطلته ومطاولته اذ صر أقصى الخيل أذنيه وفحص الارض بيده ، ثم ما لبث أن جال فحمحم وبال فهمهم ثم فعل فعله الذى يليه واحد بعد واحـد فتضعضعت الخيـل وتكعكعت الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشـكاله وناهض بعقاله فعلمنا أن قد أتينا وأنه السبع لا شك فيـه ففزع كل امرىء منا الى سيفهواستله من جربانه ، ثم وقفنا له رزدقا فأقبل يتطالع فى مشيته كأنه مجنوب أو فى هجـار لصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولارسـاغه نقيض كأنما يخبط هشيما أو يطأ صريما ، واذ هامة كالمجن وخـد كالمسن وعينان سـجراوان كأنهما سراجان موقدان وقصرة ربلة ولهزمة رهلة وكند مغبط وزور مفرط وساعد مجـدول وعضـد مفتول وكف شثنة البراثن الى مخالب كالمحاجن ، ثم ضرب بذنبه فأوهج وكشر فأفرج عن أنيـاب

كالمعازل مصقولة غير مفلولة وفم أشدق كالغـــار الاخرق ثم تمطي فأسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه ثم أقعى فاقشعر ، ثم مثل فاكفهر ، ثم تجهم فازبأر فلا والذى بيته في السماء ما أتقيناه بأول من أخ لنا من بنى فزارة كان ضخم الجزارة فوهصه ثم أقعصهفقضقض متنه وبقر بطنه فجعل يلغ فى دمه فذمرت أصـــحابى فبعـد لاى ما استقدموا فكر مقشعر الزبرة كأن به شبها حوليا ، فاختلج من دونى رجـلا أعجـر ذا حوايا فنفضه نفضة فتزايلت أوصـــاله وانقطعت أوداجه ، ثم نهم فقرقر ، ثم زفر فبربر ، ثم زأر فجرجـر ؛ ثم لحظ،فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عنشماله ويمينه ، فارتعشت الايدى واصطكت الارجل وأطت الاضلاع وارتجت الاسماع وحمجلت العيون ، وانخذلت المتون ، ولحقت الظهور البطون ، ثم ساءت الظنون وأنشأ :

عبوس شموس مصخلد خنـابس
جرىء على الارواح للقـــرن قاهر

منيـع ويحمى كل واد يرومه	شديد أصول الماضغين مكابر
برآثنه شثن وعيناه فى الدجى	كجمرالغضتافى وجههالشرظاهر
يدل بأنيـــاب حدآد كأنهــا	اذا قلص الاشداق عنهاخناجر

فقال عثمان : أكفف لا أم لك ، فلقد أرعبت قلوب المسلمين ، ولقد وصفته حتى كأنى أنظر اليه يريد يواثبنى • وقيل فى المثل : وهو أجبن من هجرس ــ وهو القـرد ــ وذلك أنه لا ينام الا وفى يده حجر مخافة أن يأكله الذئب • وحدثنا رجل بمكة قال : اذا كان الليل رأيت القـرود تجتمع فى موضع واحد ، ثم تبيت مستطيلة واحدا فى أثر واحـــد فى يد كل واحد منهم حجرا لئلا ترقد ، فيأتيها الذئب فيأكلها ، وان نام واحد وسقط الحجر من يده فزع فتحرك الآخر فصارَ قدامه فلا تزال كذلك طول الليل فتصبح وقد صارت من الموضع

الذى باتت فيه على ثلاثة أميال أو أكثر جبنا ، وقيل : هو أجبن من صافر ، وهو طائر يتعلق برجليه وينكس رأسه ثم يصفر ليلته كلها خوفا من أن ينام فيؤخذ ، وقيل أيضا : هو أجبن من المنزوف ضرطا وكان من حديثه أن نسوة من العرب لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن برجل كان ينام الى الضحى فاذا أنتبه ضربنه وقلن له : قم فاصطبح ويقول : لو لعادية نبهتنى ـ أى خيل عادية عليكن مغيرة فأدفعها عنكن ـ فلما رأين ذلك فرحن وقلن : ان صاحبنا لشجاع ثم أقبلن وقلن : تعالين نجربه فأتينه كما كن يأتينه فأيقظنه فقال : لو لعادية نبهتنى ، فقلن له : نواصى الخيل معك ، فجعل يقول : الخيل .. الخيل ويضرط حتى مات فضرب به المثل . وقيل لجبان : انهزمت فغضب الامير عليك ، قال : يغضب الامير وأنا حى أحب الى من أن يرضى وأنا ميت . وقيل لبعض الجبان : ما لك لا تغزو ؟ قال : والله انى لابغض الموت على فراشى فكيف أمر اليه ركضا ؟ قال : وقال الحجاج لحميد الارقط وقد أنشده قصيدة يصف فيها الحروب : يا حميد هل قاتلت قط ؟ قال : لا أيها الامير الا فى النوم .قال : وكيف كانت وقعتك ؟ قال : أنتبهت وأنا منهزم ، ومما قيل فى ذلك من الشعر :

ظلت تشجعنى هند بتضليل — وللشجاعة خطب غير مجهول
هاتى شجاعا لغير القتل مصرعه — أوجدك ألف جبان غير مقتول
الحرب توسع من يصلى بها حربا — يتم العيال وأثكال المثاكيل
اسم الوغى اشتق من غوغاء يحر بها — يغدون للموت كالطير الابابيل
والله لو أن جبريلا تكفل لى — بالنصر ما خاطرت نفسى لجبريل
هل غير أن يعذرونى أننى فشل — فكل هذا نعم فاغروا بتعزيلى

ان اعتذر من فرارى فى الوغى أبدا
كان اعتـــذارى رديداً غـير مقبــول
اسمع أخبـــرك عن بأسى بذى سلب
خلاف بأس المســاعير البهاليــــل
لما بدت منهم نحــوى عشــوزنة
شـــماء تشرع فى عرضى وفى طـولى
فقلت ويحـــكم لا ترهبـــوا جلدى
رمحى كســـير وسيفى غير مصـقول
لـما اتقيتهم طـوعا بذات بد وانصعت أطوى الفلا ميلا الى ميل
الله خلصنى منهم وفلسفتى حتى تخلصت مخضوب السراويل

وقال آخر :

أضحت تشجعنى هند فقلت لها ان الشجاعة مقرون بها العطب
لا والذى حجت الأنصــار كعبته
ما يشتهى الموت عندى من له أرب
للحرب قوم أضل الله سعيهم اذا دعتهم الى حوماتهـا وثبوا
ولست منهم ولا أهوى فعالهم لا القتل يعجبنى منهم ولا السلب

وقال آخر :

يقـول لى الامير بغير جـــرم تقدم حين حل بنــــا المراس
فمالى ان أطعتك فى حيــاة ولا لى غير هــذا الراس راس

٢٠ ــ محاسن حب الوطن

قال عمر بن الخطاب : لولا حب الوطن لخرب بلد السوء . وكان يقال : بحب الاوطان عمرت البلدان ، وقال جالينوس : يتروح العليل بنسيم أرضه كمـــا تتروح الارض الجدبة ببل المطر . وقال بقراط : يداوى كل عليل بعقـــاقير أرضه فان الطبيعة تنزع الى غذائها ، ومما يؤكد ذلك قول اعرابى وقد

مرض بالحضر فقيل له : ما تشتهي فقال : مخيضا روبا وضبا مشويا ، وقد قيل : أحق البلدان بنزاعك اليهـا بلد أمصك حلب رضاعه ، وقيل احفظ أرضا أرسخك رضاعها ،وأصلحك غذاؤها وارع حمى اكتنفك فناؤه • وقيل : لا تشك بلداً فيه قبائلك • وقيـل : من علامة الرشـــد أن تكون النفس الى أوطانها مشتاقة والى مولدها تواقة • وحدثنا بعض بنى هاشم قال : قلت لاعرابى : من أين أقبلت ؟ قال : من هذه البادية ، قلت : وأين تسكن منها ؟ قال : مساقط الحمى حمى ضرية ما ان لعمر اللهأريد بها بدلا ولا أبتغى عنها حولا حفتها الفلوات فلايملولح ماؤها ولا تحمى تربتها ليس فيهـــا أذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ونحن بأرفه عيش وأوسع معيشة وأسبغ نعمة قلت : مم طعامكم ! قال : بخ بخ الهبيـــد والضباب واليرابيع معالقنافد والحياتوريتما والله أكلنا القد واشتوينا الجلد فلا نعلم أحدا أخصب منا عيشا ، فالحمد لله على ما رزق من السعة وبسط من حسن الدعة • وقيل لاعرابى : كيف تصنع بالبادية اذا انتصف النهار وانتعل كل شيء ظله ؟ فقال: وهل العيش الا ذاك ؟ يمشى أحـــدنا ميلا فيرفض عرقا كأنه الجمان ثم ينصب عصاه ويلقى عليها كساه وتقبل الرياح من كل جانب فكأنه فى ايوان كسرى • وقال بعض الحكمـــاء : عسرك في بلدك خير من يسرك فى غربتك • وقيل لاعرابى : ما الغبطة • قال : الكفاية ولزوم الاوطان والجلوس معالاخوان وقيل : فما الذل ؟ قال : التنقل في البـــلدان والتنحى عن الاوطان ، وقال بعضالادباء : الغربة ذلة والذلة قلة ، وقال للآخر : لاتنهض عن وطنك ووكرك فتنقصك الغربة وتصمتك الوحدة • وشبهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذى ثكل أبويه فلا أم ترأمه ولا أب يحدب عليه • وكان يقال : الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالغرس الذى زايل أرضه وفقـــد شربه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر ، وكان يقال : الجالى عن مسقط رأسه كالعير الناشز عن موضعه الذى هو لكل رام

رمية ، وأحسن من ذلك وأصدق قول الله عز وجل : « ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء » وقال تعالى : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم » فقرن جل ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل ، وقال تقدست أسماؤه : « وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا » . فجعل القتال بازاء الجلاء ، قال صلى الله عليه وسلم : (الخروج عن الوطن عقوبة) ومما قيل في ذلك من الشعر :

اذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي
واضحى فؤادي نهبة للهماهم
حنينا الى أرض بها اخضر شاربي
وحلت بها عني عقود التمائم
وألطف قوم بالفتى أهل أرضه
وأرعاهم للمرء حق التقادم

وقال آخر :

أحن الى ارض الحجاز وحاجتي
خيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظري من نحو نجد بنافعي
أجل لا ولكني على ذاك أنظر
ففي كل يوم نظرة ثم عبرة
لعينيك يجري ماؤها يتحدر
متى يستريح قلب اما محاذر
حزين واما نازح يتذكر

وقال آخر :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى
وحنينه ابدا لأول منزل

وقال ابن أبى السرح قرأت على حائط بيتى شعر هما :

ان الغـــريب ولو يـكون ببـــلدة
يجبى اليــــه خراجهـــا لغريب
واقــل ما يلقى الغــــريب من الأذى
أن يســـتذل وأن يقـــال كذوب

وقال : وقرأت على حائط بعسكر مكرم :

ان الغريب اذا ينـــادي موجعـــا
عند الشدائد كان غـــير مجاب
فاذا نظرت الى الغريب فـــكن له
مترحمـــا لتبـــاعد الاحبـــاب

وقال : وقرأت على حائط ببغداد :

غريب الدار ليس له صديق ... جميع سؤاله أين الطـريق
تعلق بالسؤال لـــكل شيء ... كما يتعلق الرجل الغريق
فلا تجزع فكل فتى سيأتى ... على حالاته ســـعة وضيق

قال : ووجدت على حائط باب مكتوبا :

عليك سلام الله ياخير منزل ... رحلنا وخلفناك غير ذميم
فان تكن الايام فرقن بيننـــا ... فما أحد من ريبهـــا بسليم

وقال آخر :

وان اغتراب المرء من غير حاجـــــة
ولا فاقـــة يســـمو لهـــا لعجيب
فحسب امرىء ذلا ولو أدرك الغنى
ونال ثراء أن يقـــــال غــــريب

وقال آخر :

ان الغريب وان يكن في غبطة ... لمعـــذب وفؤاده محـــزون
ومتى يكونمع التغربعاشقا ... ومفارقا يارب كيف يـــكون

وقال آخر :

ان الغريب ذليل اينما سلكا   لو أنه كل الورى ملــكا
اذا تغنى حمام الأيك في غصن   حن الغريب الى أوطانه فبكى

وقال آخر :

ســل الله الاياب من المغيب   فكم قد رد مثلك من غريب
وسل الحزن منك بحسن ظن   ولا تيأس من الفرج القريب

وقال آخر :

تصبر ولا تعجل وقيت من الردى   لعل اياب الطاعنــين قريب
فقلت وفي قلبي جوى لفراقها   ألا لاتصبرني فلست أجيب

وقال آخر :

أعاذل حبي للغريب سجية وكل غريب للغريب حبيب

لئن قلت لم أجزع من البين ان مضــوا
لطيتهـــــم انى اذا لـــــكذوب
بلى غبرات الشوق أضرمت الحشــا
ففاضت لها من مقلتي غـــــروب

وقال آخر :

اذا اغترب الكريم رأى أمورا   مجلله يشيب لهــا الوليد

وقال آخر :

ما كنت أحسب أن يــكو   ن كـذا تفرقنا سريعــا
بخـــل الزمان عـــلى أن   نبقى كمـــا كنـــا جميعا
فأحلني في بـــــلدة   واحلك البـــلد الشسيعا
قد كنت أنتظر الوصـــا   ل فصرت انتظر الرجوعـا

وقال آخر :

نســـيم الخزامى والرياح التي جرت
بنجد عــــلى نجد تذكرني نجـــدا

أتاني نسيم السدر طيبا الى الحمى
فذكرني نجدا فقطعني وجدا

وفى معناه (الدعاء للمسافر) بأيمن طالع وأس طائر ولا كبابك مركب ، ولا اشت بك مذهب ، ولا تعذر عليك مطلب . سهل الله لك السير وأنالك القصد وطوى لك البعد بمسرة الظفر وكرامة المدخر . على الطائر الميمون والكوكب السعدالى حيث تتقاصر أيدى الحوادث عنك وتتقاعس نوائب الأيام دونك بسهولة المطلب ونجاح المنقلب . كان الله لك فى سفرك خفيرا وفى حضرك ظهيرا بسعي نجيح وأوب سريح . بصرك الله محالك وهداك رحلك وسر بأوبتك أهلك ولا زلت آمنا مقبما وظاعنا بأسعد جد وأنجح مطلب وأسر منقلب وأكرم بدأة وأحمد عاقبة . اشخص مصحوبا بالسلامة والكلاءة آئبا بالنجح والغبطة محوطا فيما تطالعه بالعناية والشفقه فى ودائع الله وكنفه وجواره وستره وأمانه وحفظه وذمامه . وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : انى أريد سفرا ، فقال : فى كنف الله وستره زودك الله التقوى ووجهك الى الخير حيثما كنت استخلف الله فيك وأستخلفه منك) ، وقال الشاعر :

فى كنف الله وفى ستره   من ليس يخلو القلب من ذكره

وقال آخر :

ارحل أبا بشر بأيمن طائر   وعلى السعادة والسلامة فانزل

(ضده)

قال بعض حكماء الفلاسفة : اطلبوا الرزق فى البعد فانكم ان لم تكسبوا مالا غنمتم عقلا كثيرا . وقال آخر : لا يألف الوطن الا ضيق العطن . وقيل لاتوحشنك الغربة اذا آنستك النعمة . وقيل : الفقير فى الاهل مصروم ، والغنى فى الغربة موصول . وقال : لا تستوحش من الغربة اذا أنسنت مصروما ، وقيل : أوحش قومك ما كان فى ايحاشهم أنسك ، واهجر وطنك ما نبت عنه نفسك ، وأنشد :

لايمنعنك خفض العيش فى دعة ... نزوع نفس الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها ... أهلا بأهل وجيرانا بجيران

وقال آخر :

نبت بك الدار فسر آمنـا ... فللفتى حيث انتهـى دار

وفى معناه (الدعاء على المسافر) بالبارح الاشأم ، والسانح الاعضب ، والصرد الانكد ، والسفر الابعد . لااستمرت به مطيته ولا استتبت به أمنيته ، ولا تراخت منيتـه . بنحس مستمر وعيش مر . لاقرى اذا استضاف ولا أمن اذا خـاف . ويقال ان عليا عليه السلام لما اتصل به مسير معـاوية قال : لاأرشد الله قائده ولا أسعد رائده ولا أصاب غيثا ولا سار الا ريثا ولا رافق الا ليثا أبعده الله وأسحقه وأوقد على أثره وأحرقه لا حط الله رحله ولا كشف محـله ولا بشر به أهله لازكى له مطلب ولا رحب له مذهب ولا يسر له مراما لافرج الله له غمه ولا سرى همه لاسقاه الله ماء ولا حل عقده ولا أورى زنده جعله الله سفر الفراق وعصى الشقاق ، وأنشد :

بأنكد طائر وبشر فـال ... لأبعد غاية وأخس حـال
بحد السد حيث يكون منى ... كما بين الجنوب الى الشمال
غريبا تمتطى قدميك دهرا ... على خوف تحن الى العيـال

وقال آخر :

اذا اسـتقلت بك الركاب ... فحيث لا درت السـحاب
وحيث لا تبتغى فـلاحا ... وحيث لا يرتجـى اياب
وحيث مادرت فيه يومـا ... قابلك الذئب والغـراب

وقال آخر :

فسر بالنحوس الى بـلدة ... تعمـر فيهـا ولا ترزق
ولا تمرع الأرض من زهرة ... ولا يثمر الشجر المـورق
تغيض البحار بها مـرة ... ويكدى السحاب بها المغدق

وقال آخر :

ادني خطاك الهند والصين وكل نحس بك مقرون
بحيث لا يأنس مستوحش وحيث لا يفرح محزون
تهوى بك الارض الى بلدة ليس بها ماء ولا طين

٢١ - محاسن الدهاء والحيل

الهيثم بن الحسن بن عمار قال : قدم شيخ من خزاعة أيام المختار فنزل على عبد الرحمن بن أبان الخزاعى ، فلما رأى ما تصنع سرقة المختار من الاعظم جعل يقول : يا عباد الله أبا المختار يصنع هذا والله لقد رأيته يتتبع الاماء بالحجاز فبلغ ذلك المختار فدعا به وقال : ما هذا الذى بلغنى عنك • قال : الباطل فأمر بضرب عنقه ، فقال : لا والله لا تقدر على ذلك قال ولم ؟ قال : أما دون أن انظر اليك وقد هدمت مدينة دمشق حجرا حجرا وقتلت المقاتلة وسبيت الذرية ثم تصلبنى على شجرة على نهروان‌ه انى لأعرف الشجرة الساعة وأعرف شاطئ ذلك النهر ، فالتفت المختار الى أصحابه فقال لهم : ان الرجل قد عرف الشجرة فحبس حتى اذا كان الليل بعث اليه فقال : ياأخا خزاعة أو مزاح عند القتل ؟ قال : أنشدك الله أن أقتل ضياعا قال : وما تطلب ههنا ؟ قال : أربعة آلاف درهم اقتضى بها دينى قال : ادفعوها اليه واياك أن تصبح بالكوفة فقبضها وخرج عنه • وعنه قال كان سراقة البارقى من ظرفاء أهل الكوفة فأسره رجل من أصحاب المختار فأتى به المختار فقال له : أسرك هذا ؟ قال سراقة : كذب والله ما أسرنى الا رجل عليه ثياب بيض على فرس أبلق • وقال المختار : الا أن الرجل قد عاين الملائكة خلوا سبيله • فلما أفلت منه أنشأ يقول :

الا ابلغ أبا اسحق أنى رأيت البلق دهما مصمتات
ادى عينى ما لم ترأياه كلانا عالم بالترهات
كفرت بوحيكم وجعلت نذرا على قتالكم حتى الممات

وعنه قال : كان الأحوص بن جعفر المخزومى يتغدى فى دير اللج فى يوم شديد البرد ومعه حمزة بن بيض وسراقة البارقى فلما كان على ظهر الكوفة وعليه الوبر والخز وعليهما الأطمار قال حمزة لسراقة : أين يذهب بنا فى البرد ونحن فى أطمار ؟ قال : سأكفيكه فبينما هو يسير اذ دنا منهم راكب مقبل فحرك سراقة دابته نحوه وواقفه ساعة ولحق بالأحوص فقال له : ماخبرك الراكب؟ قال: زعم أن خوارج خرجت بالقطقطانة. قال : بعيد قال : ان الخوارج تسير فى ليلة ثلاثين فرسخا وأكثر . وكان الأحوص أحد الجبناء فثنى رأس دابته وقال : ردوا طعامنا نتغدى في المنزل ، فلما حاذى منزله قال لأصحابه: ادخلوا ومضى الى خالد بن عبد الله القسرى فقال : خرجت خارجة بالقطقطانة . فنادى خالد فى العسكر فجمعهم ووجه خيلا تركض نحو اللج لتعرف الخبر فأعلموه لاأصل للخبر . فقال للأحوص: من أعلمك بهذا ؟ قال : سراقة قال : وأين هو ؟ قال : فى منزلى، فأرسل اليه من أتاه به قال : أنت أخبرته عن الخارجة قال : مافعلت أصلح الله الأمير ، قال له الأحوص : أتكذبنى بين يدى الأمير . قال خالد ويحك أصدقنى قال : نعم أخرجنا فى هذا البرد وقد ظاهر الخز والوبر ونحن فى أطمارنا هذه فأحببت أن أرده ، فقال له خالد : ويحك وهذا مما يتلاعب به .

وذكروا : أن شبيب بن يزيد الخارجى مر بغلام مستنقع فى الفرات فقال له : ياغلام أخرج انى أسألك ، فعرفه الغلام فقال له : انى أخاف أفآمن أنا اذا خرجت حتى ألبس ثيابى ، قال : نعم ، فخرج وقال : والله لاألبسها اليوم ، فضحك شبيب وقال: خدعتنى ورب الكعبة ووكل به رجلامن أصحابه يحفظه الايصيبه أحد بمكروه قال : وكان رجل من الخوارج يقول :

فمنا يزيد والبطين وقعنب ومنا امير المؤمنين شبيب

فسار البيت حتى سمعه عبدالملك بن مروان فأمر بطلبه

فأتى به ، فلما وقف بين يديه قال : انت القائل * ومنـــا أمير المؤمنين شبيب ٠

قال لم أقل هكذا ياأمير المؤمنبن انما قلت * ومنا أمير المؤمنين شبيب ٠

فضحك عبدالملك وأمر بتخلية سبيله فتخلص بدهائهوفطننه لازالة الاعراب من الرفع الى النصب ٠ وزعموا أن عمرو بنمعدى كرب هجم في بعض غاراته على شابة جميلة منفردة وأخذها ، فلما أمعن بها بكت فقال : مايبكيك قالت : ابكى لفراقى بنات عمى هن مثلى فى الجمال وأفضل منى خرجت معهن فانقطعنـــا عن الحى قال : وأين هن ؟ قالت خلف ذلك الجبل ووددت اذ أخذتنى انك أخذتهن معى فامض الى الموضع الذى وصفته ،فمضى الى هنالك فلما شعر بشىء حتى هجم على فارس شاك فيالسلاح فعرض عليه المصارعة فصارعه الفارس ثم عرض عليه ضروبامن المناوشة فغلبه الفارس فى كلها، فسأله عمرو عن اسمه فاذا هو ربيعة بن مكدم الكنانى فاسنقذ الجارية ٠ وعن عطاء ان مخارق ابن عفان ومعن بن زائدة تلقيا رجلا ببلاد الشرك ومعه جارية لم يريا أحسن منها شبابا وجمالا فصاحا به خل عنها ومعه قوس فرمى بها وهابا الاقدام عليه ، ثم عـــاد ليرمى فانقطعت وتره وسلم الجارية وأسند فى جبل كان قريبا منه فابتدراه وأخذا الجارية وكان فى أذنها قرط فيه درة فانتزعاه من أذنها ،فقالت: وما قدر هذه لو رأيتما درتين معه فى قلنسوته وفى القلنسوة وتر قد أعده ونسيه من الدهش ٠ فلما سمع قول المرأة ذكر الوتر فاخذه وعقده فى قوسه فوليا ليست لهما همة الا الالتجاء وخليا عن الجارية ، وعن الهيثم قال : وكان الحجاج حســودا لايتم له صنيعة حتى يفسدها فوجه عمارة بن تميم اللخمى الى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فظفر به وصنع ما صـــنع ، ورجع الى الحجاج بالفتح ولم ير منه ماأحب وكره منافرته وكان عاقلا رفيقا فجعل يرفق به ويقول : أيها الامير اشرف العرب

أنت من شرفته شرف ، ومن وضعته تضع ، وما ينكر ذلك لك مع رفقك ويمن مشورتك ورأيك ، وما كان هذا كله الا بصنع الله وتدبيرك ، وليس أحد أشكر لبلائك مني ومن ابن أشعث ، وما خطره حتى عزم الحجاج على المسير الى عبد الملك فأخرج عمارة معه وعمارة يومئذ على أهل فلسطين أمير ، فلم يزل يلطف بالحجاج في مسيره ويعظه حتى قدموا على عبد الملك ، فلماقامت الخطباء بين يديه وأثنت على الحجاج قام عمارة فقال : يا أمير المؤمنين سل الحجاج عن طاعتي ومنـــاصحتي وبلائي ، قال الحجاج : ياأمير المؤمنين صنع وصنع ومن بأسه ونجدته وعفافه كذا وكذا وهو أيمن الناس نقيبة وأعلمهم بتدبير وسياسة ولم يبق في الثناء عليه غاية، فقال عمارة : قد رضيت ياأميرالمؤمنين، قال نعم فرضي الله عنك حتى قالها ثلاثافي كلها يقول قدرضيت، قال عمارة : فلا رضي الله عن الحجاج ياأمير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه فهو والله السيء التدبير الذى قد أفسد عليك أهـــل العراق وألب الناس عليك وما أتيت الا من قبله ومن قلة عقله وضعف رأيه وقلة بصره بالسياسة فلك والله أمثالها انلم تعزله فقال الحجاج : مه ياعمارة ، فقا ل: لامه ولا كرامة كل امـرأة له طالق وكل مملوك له حر ان سار تحت راية الحجاج أبدا ، قال : اني أعلم أنه ماخرج هذا منك الا عن معتبة ولك عنـدي العتبى وأرسل اليه ، فقال : ماكنت أظن أن عقلك على هـــذا ارجع اليه بعد الذى كان من طعني عليه وقولي عند أمير المؤمنين ماقلت فيه : لا ولا كرامة .

(ضله)

قيل في المثل : هو أحمق من عجل ، وهو عجل ، وهو عجل ابن لجيم ، وذلك أنه قيل له : ماسميت فرسك ؟ ففقأ عينـــه وقال : سميته الأعور ، فقال الشاعر فيه :

رمتني بنـــو عجـــل بـداء أبيهـم
واي امرىء في الناس احمق من عجل

اليس ابوهم عار عـــين جـــواده
فصارت به الأمثال تضرب فى الجهـــل

وقيل : هو أحمق من هبنقة ، وبلغ من حمقه أنه ضل له بعير فجعل ينادى : من وجد بعيرى فهو له ، فقيل له : ولم تنشده ؟ قال : وأين حلاوة الظفر والوجدان ؟ •

واختصمت اليه الطفاوة وبنو راسب فى رجل ادعى هؤلاء وهؤلاء فيه فقالوا : قد رضينا بحكم أول طالع يطلع علينا فطلع عليهم هبنقة فلما رأوه قالوا : انظروا بالله من طلع علينا ؟ فلما دنا قصوا عليه القصة فقال هبنقة : الحكم فى هذا بين ، اذهبوا به الى نهر البصرة فألقوه فيه ، فان كان راسبيا رسب ، وان كان طفاويا طفا • فقال الرجل : لاأريد أن أكون من أحد هـــذين الحيين ولا حاجة لى فى الديوان ، وقيل : هو أحمق من دغة وهى مارية بنت مغنج تزوجت فى بنى العنبر وهى صغيرة ، فلمـــا ضربها المخاض ظنت أنها تريد الخلاء فخرجت تتبرز ، فصاح الولد ، فجاءت منصرفة ، فصاحت : ياأماه هل يفتح الجعرفاه ؟ قالت : نعم ، ويدعو أباه ، فسبت بنو العنبر بذلك ، فقيل : بنو الجعراء ، وقيل : هو أحمق من باقل ، وكان اشترى عنزا بأحد عشر درهما فسئل بكم اشتريت العنز ؟ ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه ، يريد أحدعشر درهما فعيروه بذلك ، قال الشاعر :

يلومون فى حمقـــه باقـــلا — كأن الحمـــاقة لم تخلق
فلا تكثروا العذل فى عبـــه — فللصمت اجمـــل بالأموق
خروج اللسان وفتح البنان — أحب اليـنـــا من المنطـق

ومما قيل فيه أيضا من الشعر :

يا ثابت العقـــل كم عاينت ذا حمـــق
الرزق أغرى به من لازم الجـــرب

فانني واجــــد فى الناس واحــدة
الـــــرزق أروغ شيء عن ذوى الأدب
وخصلة ليس فيها من يخــــالفني
الرزق والنـــوك مقرونان فى ســـبب

وقال آخر :

أرى زمنا نوكاه أسعد خلقه على أنه يشقى به كل عاقل
علا فوقهرجلاه والرأس تحته فكبالأعالى بارتفاع الأسافل

وقال آخر :

كم من قوى قوى فى تقلبه مهذب اللب عنه الرزق منحرف
ومن ضعيف ضعيف العقـــــل مختلط
كأنه مـــن خليـــج البحـــر يغترف

٢٢ ـ محاسن المفاخرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) ، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ينشد بيتا من شعر :

اني امرؤ حميرى حــين تنســبني
لا من ربيعــــــــــة آبائي ولا مضر

فقال له : ذلك ألأم لك وأبعد عن الله ورســـوله ، وقال بعضهم :

اذا مضر الحمـــــــراء كانت ارومتي
وقـــام بنصرى خـــازم وابن خـــازم
عطيست بأنف شـــامخ وتنـــاولت
يداى الثريا قاعـــدا غير قـــائم

شعيب بن ابراهيم عن على بن زيد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال : مر العباس بن عبد المطلب رضي الله

عنه بنفر من قريش وهم يقولون انما محمد فى أهله مثل نخلة نبتت فى كناسة ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد منه ، فخرج حتى قام فيهم خطيبا ثم قال : (أيها الناس من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله قال : أفأنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم ان الله عز وجل خلق خلقه فجعلنى من خير خلقه ، ثم جعل الخلق الذى أنا منهم فريقين فجعلنى من خير الفريقين من خلقه ، ثم جعل الخلق الذى أنامنهم شعوبا فجعلنى فى خيرهم شعبا ، ثم جعلهم بيوتا فجعلنى من خيرهم بيتا ، فأنا خيركم بيتا وخيركم والدا ، وانى مباه لكم قم ياعباس فقام عن يمينه ، ثم قال : قم ياسعد فقام عن يساره فقال : يقرب امرؤ منكم عما مثل هذا وخالا مثل هذا) وحدثنا سنان بن الحسن التسترى عن اسماعيل بن مهران العسكرى عن أبان بن عثمان عن عكرمة عن ابن عباس رحمهما الله تعالى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج وأنا معه وأبو بكر وكان عالما بأنساب العرب فوقفنا على مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة ، فتقدم أبو بكر فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال : ممن القوم ؟ فقالوا من ربيعة قال : من هامتها أم لهازمها؟ قالوا : بل من هامتها العظمى قال : وأى هامتها ؟ قالوا : ذهل قال : ذهل الأكبر أم ذهل الأصغر ؟ قالوا : بل الأكبر قال فمنكم عوف الذى كان يقال لا حر بوادى عوف قالوا : لا قال : أفمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا: لا قال : أفمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار ؟ قالوا : لا قال : أفمنكم المزدلف صاحب العمامة ؟ قالوا لا ، قال: أفأنتم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا : لا ، قال : أفأنتم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا : لا قال : فلستم من ذهل الاكبر اذا أنتم من ذهل الأصغر فقام اليه أعرابى غلام حسن بقل وجهه فأخذ بزمام ناقته ورسول لله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته يسمع مخاطبته ، فقال :

لنـــا على ســـائانا ان نســأله
والعبء لاتعـــرفه أو تحمـــله

ياهذا أنك قد سألتنا أى مسألة شئت فلم نكتمك شــيئا فأخبرنا ممن أنت ؟ فقال أبو بكر : من قريش · فقال : بخ بخ! أهل الشرف والرياسة فأخبرني من أى قريش أنت ؟ قال من بني تميم بن مرة ، قال : أفمنكم قصى بن كلاب الذى جمع القبائل من فهر فكان يقال له مجمع ؟ قال أبو بكر : لا ، قال : أفمنكم هاشم الذى يقول فيه الشاعر :

عمـــرو العلى هشـــم الثريد لقومه
ورجال مـــكة مسنتون عجـــاف

قال أبو بكر : لا ، قال : أفمنكم شيبة الحمد الذى كان وجهه يضىء فى الليلة الداجية مطعم الطير ؟ قـــال : لا ، قال : أفمن المضيفين بالناس أنت ؟ قال : لا ، قال : أفمن أهل الرفادة أنت؟ قال : لا ، قال : أفمن أهل السقاية أنت؟ قال لا ، قال :أفمن أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا ، قال : أما والله لو شئت لأخبرتك لست من أشراف قريش فاجتذب أبو بكر زمام ناقته منـــه كهيئة المغضب ، فقال الاعرابى :

صـــادف در الســـيل در يدفعـــه
فى هضبة ترفعـــــه وتضــــعه

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال على كرم الله وجهه، فقلت : ياأبا بكر لقد وقعت من هذا الاعرابى على باقعـــة ، قال : أجل ياأبا حسن مامن طامة الا وفوقها طامة وان البـــلاء موكل بالمنطق · قال : وأتى حســـن بن على رضى الله عنهما معاوية بن أبي سفيان وقد سبقه ابن عباس رحمه الله فـــأمر معاوية بانزاله ، فبينا معاوية مع عمرو بن العـــاص ومروان بن الحكم وزياد المدعى الى أبى سفيان يتحاورون فى قديمهم ومجدهم اذ قال معاوية : قد أكثرتم الفخر ولو حضركم الحسن بن على

وعبد الله بن عباس لقصروا من أعنتكم ، فقال زياد : وكيف ذاك ياأمير المؤمنين وما يقومان لمروان ابن الحكم فى غرب منطقه ولا لنا فى بواذخنا فابعث اليهما حتى نسمع كلامهما ، فقال معاوية لعمرو : ماتقول فى هذا الليل فابعث اليهما فى غد ، فبعث معاوية بابنه يزيد اليهما فأتيا فدخلا عليه وبدأ مغاربه فقال : انى أجلكما وأرفع قدركما عن المساس بالليل ولا سيما أنت ياأبا محمد فانك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة فشكر له فلما استويا فى مجلسهما علم عمرو أن الحدة ستقع به فقال : والله لابد أن أتكلم فان قهرت فسبيل ذلك وان قهرت أكون قد ابتدأت فقال : يا حسن أنا قد تفاوضنا فقلنا ان رجال بنى أمية أصبر على اللقاء وأمضى فى الوغاء وأوفى عهدا وأكرم خيما ومنع لما وراء ظهورهم من بنى عبد المطلب ، ثم تكلم مروان ابن الحكم فقال : كيف لايكون ذلك وقدقارعناهم فغلبناهم وحاربناهم فملكناهم فان شئنا عفونا وان شئنا بطشنا ، ثم تكلم زياد فقال : ماينبغى لهم أن ينكروا الفضل ونقص دونها الوعول لاتبلغها السهام فاياك والحسن اياك ، لأهله ويجحدوا الخير فى مظانه نحن الحملة فى الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديما وحديثا ، فتكلم الحسن بن على رضى الله عنه فقال : ليس من الحزم أن يضمت الرجل عند ايراد الحجة ولكن ٠٠ من الافك أن ينطق الرجل بالخنا ويصور الكذب فى صورةالحق ياعمرو افتخارا بالكذب وجراءة علىالافك مازلت أعرف مثالبك الخبيثة أبديها مرة بعد مرة أتذكر مصابيح الدجى ، وأعلام الهدى ، وفرسان الطراد ، وحتوف الاقران ، وأبناء الطعان ، وربيع الضيفان ، ومعدن العلم ، ومهبط النبوة؟ وزعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم ، وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكصت الأبطال ، وتساورت الأقران ، واقتحمت الليوث، واعتركت المنية وقامت رحاها على قطبها ، وفرت عن نابها ، وطار شرار الحرب ، فقتلنا رجالكم ومن النبى صلى الله عليه وسلم على ذراريكم وكنتم لعمرى فى هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم

من بني عبد المطلب ، ثم قال : وأما أنت يامروان فما أنت والاكثار فى قريش وأنت ابن طليق وأبوك طريد تتقلب فى خزاية الى سوءة ، وقد أتى بك الى أمير المؤمنين يوم الجمل ، فلما رأيت الضرغام قد دميت براثنه ، واشتبكت أنيابه كنت كما قال الأول :

بصبصن ثم رمين بأبعار

فلما من عليك بالعفو وأرخي خناقك بعد ماضاق عليك وغصصت بريقك لاتقعد منا مقعد أهل الشكر ولكن تساوينا وتجارينا ، ونحن من لايدركنا عار ولا يلحقنا خزاية ، ثم التفت الى زياد وقال : وما أنت يازياد وقريش ماأعرف لك فيها أديما صحيحا • ولا فرعا نابتا ولا قديما ثابتا ولا منبتا كريما ، كانت أمك بغيا يتداولها رجالات قريش وفجار العرب ، فلما ولدت لم تعرف لك العرب والدا فادعاك هذا - يعني معاوية - فما لك والافتخار !! تكفيك سمية ويكفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى سيد المؤمنين الذى لم يرتد على عقبيه وعماى حمزه سيد الشهداء ، وجعفر الطيار فى الجنة وأنا وأخى سيدا شباب أهل الجنة ، ثم التفت الى ابن عباس فقال : انما هى بغاث الطير انقض عليها البازى ، فأراد ابن عباس أن يتكلم فأقسم عليه معاوية أن يكف فكف ، ثم خرجا ، فقال معاوية : أجاد عمرو الكلام أولا لولا أن حجته دحضت ، وقد تكلم مروان لولا أنه نكص ، ثم التفت الى زياد فقال : مادعاك الى محاورته ماكنت الا كالحجل فى كف العقاب فقال عمرو : أفلا رميت من ورائنا ؟ قال معاوية : اذا كنت شريككم فى الجهل أفأفاخر رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم جده وهو سيد من مضى ومن بقى وأمه فاطمة سيدة نساء العالمين ثم قال لهم : والله لئن سمع أهل الشام ذلك أنه للسوءة السوآء فقال عمرو: لقد أبقى عليك ولكنه طحن مروان وزيادا طحن الرحي بثفالها ووطئهما وطء البازل القراد بمنسمه ، فقال زياد : والله لقد فعل ولكنك يامعاوية

تريد الاغراء بيننا وبينهم لاجرم والله لاشهدت مجلسا يكونان فيه الا كنت معهما على من فاخرهما ، فخلا ابن عباس بالحسن رضى الله عنه فقبل بين عينيه وقال : أفديك يابن عمى والله مازال بحرك يزخر وأنت تصول حتى شفيتنى من أولاد البغايا • ثم ان الحسن رضى الله عنه غاب أياما ثم رجع حتى دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير ، فقال معاوية : ياأبا محمد انى أظنك تعبا نصبا فأت المنزل فأرح نفسك ، فقام الحسن رضى الله عنه فخرج ، فقال معاوية لعبد الله بن الزبير : لو افتخرت على الحسن فأنت ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ولأبيك فى الاسلام نصيب وافر ، فقال ابن الزبير : أنا له ثم جعل ليلته يطلب الحجج فلما أصبح دخل على معاوية وجاء الحسن رضى الله عنه فحياه معاوية وسأله عن مبيته فقال : خير مبيت وأكرم مستفاض فلما استوى فى مجلسه قال له ابن الزبير: لولا أنك خوار فى الحروب غير مقدام ماسلمت لمعاوية الأمر وكنت لاتحتاج الى اختراق السهول وقطع المراحل والمفاوز تطلب معروفه وتقوم ببابه ، وكنت حريا ألا تفعل ذلك وأنت ابن على فى بأسه ونجدته ، فما أدرى ما الذى حملك على ذلك ؟ أضعف حال أم وهى نحيزة ؟ ماأظن لك مخرجا من هذين الحالين اماوالله لو استجمع لى ما استجمع لك لعلمت أننى ابن الزبير وانى لاأنكص عن الأبطال وكيف لا أكون كذلك وجدتي صفية بنت عبد المطلب وأبى الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد الناس بأسا ، وأكرمهم حسبا فى الجاهلية ، وأطوعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فالتفت الحسن اليه وقال : أما والله لولا أن بنى أمية تنسبنى الى العجز عن المقال لكففت عنك تهاونا بك ولكن سأبين ذلك لتعلم أنى لست بالكليل أثياى تعير وعلى تفتخر ولم تك لجدك فى الجاهلية مكرمة ان لاتزوجه عمتى صفية بنت عبد المطلب فبذخ بها على جميع العرب وشرف بمكانها ، فكيف تفاخر من فى القلادة واسطتها وفى الاشراف سادتها؟ نحن أكرم أهل الارض زندا لنا الشرف الثاقب

والكرم الغالب ثم تزعم أني سلمت الأمر لمعاوية ، فكيف يكون ؟
ويحك كذلك ! وأنا ابن أشجع العرب ولدتني فاطمة سيدة النساء
وخيرة الأمهات لم أفعل ويحك ذلك جبنا ولا فرقا ولكنه بايعني
مثلك وهو يطلب بترة ويداجيني المودة فلم أثق بنصرته لانكم
بيت غدر وأهل احن ووتر فكيف لاتكون كما أقول ؟ وقد بايع
أمير المؤمنين أبوك ثم نكث بيعته ونكص على عقبيه واختدع
حشية من حشايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضل بها الناس
فلما دلف نحو الأعنة ورأى بريق الأسنة قتل بمضيعة لاناصر
له وأتى بك أسيرا ، وقد وطئتك الكماة بأظلافها والخيل
بسنابكها ، واعتلاك الأشتر فغصصت بريقك وأقعيت على
عقبيك كالكلب اذا احتوشته الليوث ، فنحن ويحك نور البلاد
وأملاكها وبنا تفتخر الأمة والينا تلقى مقاليد الأزمة نصول وأنت
تختدع النساء ثم تفتخر على بني الأنبياء لم تزل الاقاويل منا
مقبولة وعليك وعلى أبيك مردودة دخل الناس في دين جدي طائعين
وكارهين ، ثم بايعوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فسار الى
أبيك وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقتلا عند نكثهما بيعته وأتى بك أسيرا تبصبص
بذنبك فناشدته الرحم ألا يقتلك فعفا عنك ، فأنت عتاقة أبي
وأنا سيدك وابي سيد أبيك فذق وبال امرك ، فقال ابن الزبير
اعذرنا يا أبا محمد فانما حملني على محاورتك هذا واشتهى الاغراء
بيننا فهلا اذ جهلت أمسكت عني فانكم أهل بيت سجيتكم الحلم
قال الحسن : يا معاوية أنظر أأكع عن محاورة أحد ويحك ؟
أتدري من أي شجرة أنا والى من أنتمي؟ انته قبل ان اسمك بسمة
يتحدث بها الركبان في آفاق البلدان ، قال ابن الزبير : هو
لذلك أهل ، فقال : معاوية اما انه قد شفا بلابل صدري منك
ورمى مقتلك فبقيت في يده كالحجل في كف البازي يتلاعب بك
كيف شاء ، فلا أراك تفتخر على أحد بعد هذا . وذكروا أن
الحسن بن علي صلوات الله عليهما دخل على معاوية فقال في كلام
جرى من معاوية في ذلك :

فيم الكلام وقد سـبقت مبرزا
سـبق الجواد من المدى والمقـوبس

فقال معاوية: اياى تعني؟ والله لآتينك بما يعرفه قلبك ولا ينكره جلساؤك أنا ابن بطحاء مكة أنا ابن أجودها جودا وأكرمها أبوة وجدودا وأوفاها عهودا أنا ابن من ساد قريشا ناشئا فقال الحسن : أجل ! اياك أعنى افعلى تفتخر يامعاوية وأنا ابن ماء السماء وعروق الثرى وابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الثاقب والشرف الفائق والقديم السابق وابن من رضاه رضا الرحمن وسخطه سخط الرحمن فهل لك أب كأبى أو قديم كقديمى فان تقل : لاتغلب ، وان تقل : نعم تكذب ، فقـال : أقول : لاتصديقا لقولك ، فقال الحسن رضى الله عنه :

الحق أبلج لا تزيـغ سـبيله
والحق يعرفه ذوو الألبـاب

قال : وقال معاوية ذات يوم وعنده اشراف الناس من قريش وغيرهم أخبرونى بأكرم الناس أبا وأما وعما وعمة وخالا وخالة وجدا وجدة ، فقام مالك بن عجلان وأومأ الى الحسن بن عـلى صلوات الله عليه فقال : هو ذا أبوه على بن أبى طالب ، وأمـه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمه جعفر الطيار ، وعمته أم هانىء بنت أبي طالب ، وخاله القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخالته زينب بنت رسول الله صـلى الله عليه وسلم ، وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجـدته خديجة بنت خويلد فسكت القوم ونهض الحسن ، فاقبـل عمرو بن العاص على مالك فقال : أحب بنى هاشم حملك على أن تكلمت بالباطل ، فقال ابن عجلان ماقلت الا حقا وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق الا لم يعط أمنيته فى دنياه وختم له بالشقاء فى آخرته ، بنو هاشم أنضركم عودا

وأوراكم زندا أكذلك هو معاوية ؟ قال : اللهـــم نعم . قال : واستأذن الحسن بن علي رضى الله عنه على معاوية وعنده عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص فأذن له ، فلما أقبل قال عمرو : قد جاءكم الفهه العيي الذى كان بين لحييه عقله ، فقال عبد الله ابن جعفر : مه والله لقد رمت صخرة ململمة تنحط عنها السيول وتقصر دونها الوعول لا تبلغها السهام ، فاياك والحسن اياك فانك لا تزال راتعا فى لحم رجل من قريش ولقد رميت فما برح سهمك وقدحت فما أورى زندك ، فسمع الحسن الكلام ، فلما أخذ مجلسه قال : يامعاوية لايزال عندك عبد يرتع فى لحوم الناس اما والله لئن شئت ليكونن بيننا ماتتفاقم فيه الأمـــور وتحرج منه الصدور ، ثم أنشأ يقول :

أتأمر يامعاوى عبد ســـهم ... بشتمي والملا منـــا شهود
اذا أخذت مجالسهـا قريش ... فقد علمت قريش ما تريـد
أأنت تظل تشتمنى سفاها ... لضغن مـــا يزول ولا يبيد
فهل لك من أب كأبى تسامى ... به من قد تسامى أو تـكيد
ولا جد كجدى يابن حــرب ... رسول الله ان ذكر الجدود
ولا أم كأمي من قـــــريش ... اذا ما حصل الحسب التليد
فما مثلى تهكم يابن حــرب ... ولا مثلى ينهنهه الوعيـــد
فمهلا لا تهج منـــا أمـورا ... يشيب لهولها الطفل الوليد

وذكروا أن عمرو بن العاص قال لمعاوية : ابعث الى الحسن بن على فأمره أن يخطب على المنبر فلعله يحصر فيكون فى ذلك مانعيره به ، فبعث اليه معاوية فأمره أن يخطب ، فصعد المنبر وقد اجتمع الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن على بن أبى طالب ابن عم النبى أنا ابن البشير النذير السراج المنير أنا ابن من بعثه الله رحمة للعالمين أنا ابن من بعث الى الجن والانس أنا ابن مستجاب الدعوة أنا ابن الشفيع المطاع أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب أنا ابن أول من يقرع باب الجنة أنا ابن من قاتلت معه الملائكة ونصر

بالرعب من مسيرة شهر ، وأمعن فى هذا الباب ولم يزل حتى أظلمت الارض على معاويه ، فقال : ياحسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة ولست هناك ، قال الحسن : انما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعته ، وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا أبا وأما ، ولكن ذلك ملك أصاب ملكا يمتع به قليلا ويعذب بعده طويلا ، وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته وبقيت عليه التبعة ؟ فكان كما قال الله تعالى «وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين» ثم انصرف ، فقال معاوية لعمرو : ماأردت الا هتكي ماكان أهـــل الشام يرون أحدا مثلى حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا ٠ قال: وقدم الحسن بن على رضى الله عنه على معاوية ، فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه أهل بيته ووجوه أهل اليمن وأهل الشام فلما نظر اليه معاوية أقعده على سريره وأقبل عليه بوجهه يريه السرور به وبقدومه ، فحسده مروان وقد كان معاوية قال لهم: لا تحاوروا هذين الرجلين : فقد قلداكم العار عند أهل الشام ـ يعنى الحسن ابن على رضى الله عنه وعبد الله بن عباس ـ فقـال مروان : ياحسن لولا حلم أمير المؤمنين وما قد بنـــاه له آباؤه الكرام من المجد والعلا ما أقعدك هذا المقعد ولقتلك وأنت لهـذا مستحق بقودك الجماهير الينا ، فلما قاومتنا وعلمت ألا طاقة لك بفرسان أهل الشام وصناديد بنى أمية أذعنت بالطـــاعة ، واحتجزت بالبيعة ، وبعثت تطلب الامـــان اما والله لولا ذلك لأراق دمك ، ولعلمت أنا نعطى السيوف حقها عنـد الوغى ، فاحمد الله اذ ابتلاك بمعاوية وعفا عنك بحلمه ثم صنع بك ما ترى ، فنظر اليه الحسن وقال : ويلك يامروان لقد تقلدت مقاليد العار فى الحروب عند مشاهدتها والمخاذلة عند مخالطتها هبلتك أمك لنا الحجج البوالغ ، ولنا عليكم ان شكرتم النعم السوابغ ندعوكم الى النجاة وتدعوننا الى النار ، فشتان مابين المنزلتين تفتخر ببنى أمية وتزعم أنهم صبر فى الحرب أسد عند اللقاء

ثكلتك الثواكل أولئك البهاليل السادة ، والحماة الذادة ، والكرام القادة بنو عبد المطلب أما والله لقد رأيتهم أنت وجميع من في المجلس ما هالتهم الأهوال ، ولا حادوا عن الأبطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة ، فعندما وليت هاربا وأخذت أسيرا ، فقلدت قومك العار ، لانك في الحروب خوار أتهرق دمي ؟ فهلا أهرقت دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يذبح الحمل وأنت تثغو ثغاء النعجة وتنــادى بالويل والثبور كالمرأة الوكعاء ، ما دافعت عنه بسهم ، ولا منعت دونه بحرب قد ارتعدت فرائصك ، وغشي بصرك ، واستغثت كما يستغيث العبد بربه ، فانجيتك من القتل ، ثم جعلت تبحث عن دمي وتحض على قتلي ، ولو رام ذلك معاوية معك لذبح كما ذبح ابن عفان ، وأنت معه أقصر يدا ، وأضيق باعا ، وأجبن قلبا من أن تجسر على ذلك ، ثم تزعم أني ابتليت بحلم معــاوية ، أما والله لهو أعرف بشأنه وأشكر لنا اذ وليناه هــذا الامر ، فمتى بدا له فلا يغضين جفنه على القذى معك ، فوالله لأعنفن أهل الشام بجيش يضيق فضاؤه ويستأصل فرسانه ، ثم لا ينفعك عند ذلك الروغان والهــرب ، ولا تنتفع بتدريجك الكلام ، فنحن من لا يجهل آباؤنا الكرام القــدماء الاكابر ، وفروعنا السادة الاخيار الافاضل ، انطق ان كنت صادقا ، فقال عمرو : ينطق بالخنا وتنطق بالصدق .

ذق وبال أمرك يا مروان ، فأقبل عليه معاوية فقال : قد نهيتك عن هذا الرجل وأنت تأبى الا انهماكا فيما لا يعنيك أربع على نفسك فليس أبوه كأبيك ، ولا هو مثلك أنت ابن الطريد الشريد وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم ولكن رب باحث عن حتفه بظلفه ، فقال مروان : ارم دون بيضتك ، وقم بحجة عشيرتك ، ثم قال لعمرو : لقد طعنك أبوه فوقيت نفسك بخصيتك ومنهــا ثنيت أعنتك ، وقام مغضبا ، فقال معاوية : لا تجار البحار فتغمرك ، ولا الجبــال فتقهرك ، واسترح من الاعتذار . قال : ولقي عمــرو بن

العاص الحسن بن على عليهما السلام فى الطواف ، فقال :
يا حسن أزعمت أن الدين لا يقوم آلا بك وبابيك ؟ فقد رأيت
الله أقامه بمعاوية فجعله ثابتا بعد ميله وبينا بعد خفائه
أفرضى الله قتل عثمان أم من الحق أن تدور بالبيت كما يدور
الجمل بالطحين؟ عليك ثياب كغرقىء البيض وأنت قاتل عثمان،
والله انه لألم للشعث وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض
أبيك ، فقال الحسن صلوات الله عليه : ان لاهل النار علامات
يعرفون بها : وهى الالحاد فى دين الله والموالاة لاعداء الله ،
والانحراف عن دين الله ، والله انك لتعلم أن عليا لم يتريث
فى الامر ولم يشك فى الله طرفة عين ، وأيم الله لتنتهين يا بن
العاص أو لاقرعن قصتك ــ يعنى جبينه ــ بقسراع وكلام ،
واياك والجراءة على فانى من عرفت لست بضعيف المغمز ولا
بهش المشاشة ــ يعنى العظام ــ ولا بمرىء المأكلة وانى لمن قريش
كأوسط القلادة معرق حسبى لا أدعى لغير أبى ، وقد تحاكمت
فيك رجال من قريش فغضب عليك ألأمها حسبا ، وأعظمها
لعنة ، فاياك عنى ! فانما أنت نجس ونحن أهل بيت الطهارة
أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا . قال : واجتمع الحسن
ابن على صلوات الله عليهما وعمرو بن العاص ، فقال الحسن :
قد علمت قريش بأسرها أنى منها فى عز أرومها لم أطبع على
ضعف ولم أعكس على خسف أعرف نسبى وأدعى لابى ، فقال
عمرو : وقد علمت قريش أنك ابن أقلها عقلا ، وأكثرها جهلا
وان فيك خصالا لو لم يكن فيك الا واحدة منها لشملك خزيها
كما شمل البياض الحائك ، وأيم الله لئن لم تنته عما أراك
تصنع لاكبسن لك حافة كجلد العائط اذا اعتاطت رحمها فما
تحمل أرميك من خللها بأحر من وقع الاثافى أعرك منها أديمك
عرك السلفة ، فانك طالما ركبت المنحدر ، ونزلت فى أعراض
الوعر التماسا وارصادا للفتنة ، ولن يزيدك الله فيها الا فظاعة
فقال الحسن : أما والله لو كنت تسمو بحسبك ، وتعمل
برأيك ما سلكت فج قصد ولا حللت رزية مجد ، أما والله لو

أطاعنا معاوية لجعلك بمنزلة العدو الكاشح ، وانه طال ما تأخر شأوك واستنسر داؤك ، وطمح بك الرجا الى الغاية القصوى التى لا يورق بها غصنك ، ولا يخضر منها رعيك ، أما والله لتوشكن يابن العاص أن تقع بين لحيى ضرغام ، ولا ينجيك منه الروغان اذا التقت حلقتا البطان.عن ابن المنذر عن أبيه الشعبى عن ابن عباس أنه دخل المسجد وقد سار الحسين بن على رضى الله عنه الى العراق ، فاذا هو بابن الزبير فى جماعة من قريش قد استعلاسم بالكلام ، فجاء ابن عباس فضرب بيده على عضد ابن الزبير وقال : أصبحت والله كما قال الشاعر :

يا لك من قنبرة بمعمر خلالك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ما شئت أن تنقرى قد ذهب الصياد عنك فابشرى
لابد من أخذك يوما فاصبرى

خلت الحجاز من الحسين بن على وأقبلت تهدر فى جوانبها ، فغضب ابن الزبير وقال : والله انك لترى أنك أحق بهذا من غيرك ، فقال ابن عباس : انما يرى ذلك من كان فى حال شك وأنا من ذلك على يقين ، قال : وبأى شىء أستحق عندك انك بهذا الامر أحق منى ؟ فقال ابن عباس : لانا أحق بن يدلى بحقه ، وبأى شىء أستحق عندك أنك أحق بها من سائر العرب الا بنا ؟ فقال ابن الزبير : استحق عندى انى أحق بها منكم لشرفى عليكم قديما وحديثا ، فقال : أنت أشرف أم من شرفت به ؟ فقال : ان من شرفت به زادنى شرفا الى شرفى ، قال : فمنى الزيادة أم منك ؟ فتبسم ابن عباس ، فقال ابن الزبير : يا بن عباس دعنى من لسانك هذا الذى تقلبه كيف شئت ، والله يا بنى هاشم لا تحبوننا أبدا ، قال ابن عباس : صدقت نحن أهل بيت مع الله لا نحب من أبغضه الله ، قال : يابن عباس أما ينبغى لك أن تصفح عن كلمة واحدة ؟ قال : انما يصفح عمن أقر وأما من أهر فلا ، والفضل لأهل الفضل ،

قال ابن الزبير : فأين الفضل ؟ قال : عند أهل البيت لا تصرفه عن أهله فتظلم ولا تضعه فى غير أهله فتندم ، قال ابن الزبير : أفلست من أهله ؟ قال : بلى ان نبذت الحسد ولزمت الجدد وانقضى حديثهما .وروى عن ابن عباس أنه قال: قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع من بنى أمية ووفود العرب عند فدخلت وسلمت وقعدت قال : يا بن عباس من الناس ؟ فقلت : نحن ، قال : فاذا غبتم ، قلت : فلا أحد ، قال : فانك ترى أنى قعدت هذا المقعد بكم ، قلت : نعم فبمن قعدت ؟ قال : بمن كان مثل حرب ابن أمية ، قلت من كفأ عليه اناءه وأجاره بردائه ، قال : فغضب وقال : أرحنى من شخصك شهرا فقد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك ، فلما خرج ابن عباس قال لخاصته : ألا تسألوننى ماالذى أغضب معاوية ؟ قالوا : بلى فقل بفضلك ، قال : ان أباه حربا لم يلق أحدا من رؤساء قريش فى عقبة ولا مضيق الا تقدمه حتى يجوزه ، فلقيه يوما رجل من تميم فى عقبة فتقدمه التميمى ، فقال حرب : أنا حرب بن أمية فلم يلتفت اليه وجازه ، فقال : موعدك مكة ، فخافه التميمى ثم أراد دخول مكة ، فقال : من يجيرنى من حرب بن أمية ، فقيل له : عبد المطلب ، فقال : عبد المطلب أجل قدرا من أن يجير على حرب فأتى ليلا الى دار الزبير بن عبد المطلب فدق بابه فقال الزبير لعبده : قد جاءنا رجل اما طالب قرى واما مستجير وقد أجبناه الى ما يريد ، ثم خرج الزبير اليه ، فقال التميمى :

لاقيت حربا فى الثنية مقبلا ... والصبح أبلج ضوءه للسارى
فدعا بصوت واكتنى ليروعنى ... وسما على سمو ليث ضارى
فتركته كالكلب ينبح ظله ... وأتيت قرم معالم وفخار
ليثا هزبرا يستجار بعزه ... رحب المباءة مكرما للجار
ولقد حلفت بمكة وبزمزم ... والبيت ذى الأحجار والاستار
ان الزبير لمانعى من خوفه ... ما كبر الحجاج فى الامصار

فقدمه الزبير وأجاره ودخل به المسجد ، فرآه حرب فقام اليه فلطمه ، فحمل عليه بالسيف فولى هاربا يعدو حتى دخل دار عبد المطلب فقال : اجرنى من الزبير ، فأكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس — فبقى تحتها ساعة ثم قال له : أخرج قال : وكيف اخرج وعلى الباب تسعة من بنيك قد احتبوا بسيوفهم ؟ فالقى عليه رداءه كان كساه اياه سـيف بن ذى يزن له طرتان خضراوان ، فخرج عليهم فعلموا أنه قد أجاره عبدالمطلب فتفرقوا عنه • قال : وحضر مجلس معاوية عبد الله بن جعفر ، فقال عمرو ابن العاص قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمنى والطـربات بالتغنى محب للقيان كثير مزاحه شديد طماحه صدود عن الشبان ظاهر الطيش رخى العيش أخاذ بالسلف منفاق بالسرف ، فقال ابن عباس : كذبت والله أنت وليس كما ذكرت ، ولكنه لله ذكور ولنعمائه شكور ، وعن الخنا زجور ، جواد كريم ، سيد حليم اذا رمى أصاب واذا سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا عيابة مغتاب حل من قريش فى كريم النصاب كالهزبر الضرغام الجرىء المقدام فى الحسب القمقام ، ليس بدعى ولا دنىء لاكمن اختصـم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها فأصبح ألأمها حسبا وأدناها منصبا ينوء منهـا بالذليل ويأوى منها الى القليل مذبذب بين الحيين كالساقط بين المهدين لا المضطـر فيهم عرفوه ولا الظاعن عنهم فقدوه ، فليت شعرى بأى قدر تتعرض للرجال ، وبأى حسب تعتد به عند النضال أبنفسك وأنت الوغد اللئيم والنكد الذميم والوضيع الزنيم ؟ أم بمن تنمى اليهم وهم أهل السفه والطيش والدناءة فى قريش ؟ لا بشرف فى الجاهليه شهروا ولا بقديم فى الاسلام ذكروا ، جعلت تتكلم بغير لسانك وتنطـق بالزور فى غير أقرانك ، والله لكان أبين للفضل وأبعد للعدوان ان ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق ، فانه طالما سلس داؤك ، وطمح بك رجاؤك الى الغاية القصوى التى لم يخضر فيها رعيك ولم يورق فيهـا غصنك ، فقال عبد الله بن جعفر : أقسمت عليك لما أمسكت

فانك عني ضلت ولي فاوضت ، فقال ابن عباس : دعني والعبد فانه قد كان يهدر خاليا ولا يجد ملاحيا ، وقد أتيح له ضيغم شرس للاقران مفترس وللارواح مختلس : فقال ابن العاص : دعني يا أمير المؤمنين أنتصف منه فوالله ما ترك شيئا قال ابن عباس : دعه فلا يبقى المبقي الاعلى نفســه . فوالله ان قلبي لشديد ، وان جوابي لعتيد ، واني لكما قال نابغة بني ذبيان :

وقدما قــد قرعت وقارعوني فما نزر الكلام ولا شجاني

يصد الشاعر العــراف عني صدود البكر عن قرم هجان

قال : وبلغ عثمة بنت عاثم ثلب معاوية وعمرو بن العــاص لبني هاشم فقالت لاهل مكة : أيها الناس ان بني هاشــم سادت فجادت ، وملكت وفضلت وفضلت ، واصطفت واصطفيت ، ليس فيها كدر عيب ولا افك ريب ولا خسروا طاغين ولا خازين ولا نادمين ، ولا هم من المغضوب عليهم ولا الضالين ان بني هاشم أطول الناس باعا ، وأمجــد الناس أصلا ، وأعظم الناس حلما ، وأكثر الناس علما وعطاء منــا عبد مناف المؤثر ، وفيه يقول الشاعر :

كانت قريش بيضة فتفلقت فالمح خالصها لعبــد منــاف

وولده هاشم الذى هشم الثريد لقومه ، وفيه يقول الشاعر:

عمرو العلاهشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجــاف

ومنا عبد المطلب الذى سقينا به الغيث ، وفيه يقـــول أبو طالب :

ونحن سنى المحل قام شفيعنا بمكة يدعــو والمياه تغــور

وابنه أبو طالب عظيم قريش ، وفيه يقول الشاعر :

آتيته ملكا فقــام بحاجتي وترى العليــج خائبا ملموما

ومنا العباس بن عبد المطلب اردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه ماله ، وفيه يقول الشاعر :

رديف رسول الله لم نر مثله ولا مثله حتى القيــامة يولد

ومنا حمزة سيد الشهداء ، وفيه يقول الشاعر :

أبا يعلى بك الاركان هدت وأنت الماجد البر الوصـول

ومنا جعفر ذو الجناحين أحسن الناس حالا وأكملهم كمالا ليس بغدار ولا جبان أبدله الله بكلتا يديه جناحين يطير بهما في الجنة ، وفيه يقول الشاعر :

هاتوا كجعفرنا ومثـل علينا كانا أعز الناس عند الخالق

ومنا أبو الحسن على بن ابى طالب صلوات الله عليه أفرس بنى هاشم ، وأكرم من احتبى وانتعل ، وفيه يقول الشاعر :

على ألف الفـرقان صحفـا ووالى المصطفى طفـلا صبيا

ومنا الحسن بن على عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب اهل الجنة ، وفيه يقول الشاعر :

يا أجل الانام يابن الوصى أنت سبط النبى وابن عـلى

ومنا الحسين بن على حمله جبريل عليه السلام على عاتقـه وكفاه بذلك فخرا ، وفيه يقول الشاعر :

حب الحسين ذخيرة لمحبـه
يا رب فاحشرني غـدا في حزبه

يا معشر قريش والله ما معاوية كأمير المؤمنين على ولا هو كما يزعم هو والله شانىء رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى آتية معاوية وقائلة له ما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله وأنينه ، فكتب عامل معاوية اليه بذلك ، فلما بلغه أنها قربت منه أمر بدار ضيافة فنظفت وألقى فيها فرش ، فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد فى حشمه ومماليكه ، فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن عائم فقال لها يزيد : ان أبا عبد الرحمن يأمرك أن تنتقلى الى دار ضيافته وكانت لا تعرفه فقالت : من أنت كلأك الله ؟ قال : أنا يزيد بن معاوية ، قالت : فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد ، فتغير لون يزيد وأتى أباه فأخبره فقال : هي أسن قريش وأعظمهم حلما قال يزيد : كم تعد لها ؟

قال : كانت تعد على عهد رسول اللهصلى الله عليه وسلم أربعمائة عام وهى من بقية الكرام ، فلما كان من الغد أتاها معاوية فسلم عليها فقالت : على المؤمنين السلام ، وعلى الكافرين الهوان والملام .. ثم قالت : أفيكم عمرو بن العاص ! قال عمرو : هاأنا ذا ، قالت : أنت تسب قريشا وبنى هاشم وأنت أهل السب وفيك السب واليك يعود السب يا عمرو انى والله عارفة بك وبعيوبك وعيوب أمك وانى أذكر ذلك : ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قيامها وتعلوها اللئام واذا لامسها الفحل فكان نطفتها أنفذ من نطفته ركبها فى يوم واحد أربعون رجلا ، وأما أنت فقد رأيتك غاويا غير مرشد ومفسدا غير مصلح ، والله لقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت ، وأما أنت يا معاوية فما كنت فى خير ولا ربيت فى نعمة فما لك ولبنى هاشم نساؤك كنسـائهم أم أعطى أمية فى الجاهلية والاسلام ما أعطى هاشم ؟ وكفى فخرا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال معاوية : أيتها الكبيرة أنا كاف عن بنى هاشم ، قالت : فانى أكتب عليك كتابا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه أن يستجيب لى خمس دعوات أفأجعل تلك الدعوات كلها فيك ؟ فخاف معاوية فحلف لا يسب بنى هاشم أبدا ، فهذا ما كان بين معاوية وبين بنى هاشم من المفاخرة . قال : وكان على بن عبد الله بن عباس عند عبد الملك بن مروان فأخذ عبد الملك يذكر أيام بنى أمية ، فبينا هو على ذلك نادى المنادى بالآذان فقال : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال على :

هذى المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعـد أبوالا

فقال عبد الملك : الحق فى هذا أبين من أن يكابر . على بن محمد النديم قال : دخلت على المتوكل وعنده الرضى فقال : يا على من أشعر الناس فى زماننا ؟ قلت : البحترى ، قال :

وبعده ، قلت : مروان بن أبى حفصة عبدك ، فالتفت الى الرضى فقال : يابن عم من أشعر الناس • قال : على ابن محمد العلوى قال : وما تحفظ من شعره ؟ قال قوله :

لقد فاخرتنا من قريش عصابة
بمط خدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا القضاء قضى لنا
عليهم بما نهوى نداء الصوامع

فقال المتوكل : ما معنى قوله ؟ - نداء الصوامع - قال : الشهادة قال : وأبيك انه أشعر الناس • ومما قيل فى هذا المعنى من الشعر قوله أيضا :

بلغنا السماء بأنسابنا ولولا السماء لجزنا السماء
فحسبك من سؤدد أننا بحسن البلاء كشفنا البلاء
اذا ذكر الناس كنا ملوكا وكانوا عبيدا وكانوا اماء
يطيب الثناء لآبائنا وذكر على يطيب الثناء
هجانى رجال ولم أهجهم أبى الله لى أن أقول الهجاء

وقال آخر :

وانى من القوم الذين عرفتهم
اذا مات منهم سيد قام صاحبه
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم
دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم السماء كلما انقض كوكب
بدا كوكب تاوى اليه كواكبه

وقال آخر :

خطباء حين يقول قائلهم
بيض الوجوه مقاول لسن
لا يفطنون لعيب جارهم
وهم لحفظ جوارهم فطن

(ضده)

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تفتخروا بآبائكم فى الجاهليــة فوالذى نفسى بيده لما يدحرج الجعل برجله خير من آبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية) . قال وكان الحسن البصرى يقول : يا ابن آدم لم تفتخر وانما خرجت من سبيل بولين نطفة مشجت بأقذار . وقال بعضهم لرجل : أتفتخر؟ ويحك وأولك نطفةمذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بينهما وعاء عذرة فما هذا الافتخار ؟ وروى عن ابن عباس أنه قال : الناس يتفاضلون فى الدنيـا بالشرفوالبيوتات والامارات والغنى والجمال والهيئة والمنطق ويتفاضلون فى الآخرة بالتقوى واليقينوأتقاهم أحسنهم يقينا وأزكاهم عملا وأرفعهم درجة . وقيل فى ذلك :

يزين الفتى فى الناس صحة عقله
وان كان محظورا عليه مكاسبه
وشين الفتى فى الناس قلة عقله
وان كرمت آباؤه ومناسبه

وقيل لعامر بن قيس : ما تقول فى الانســان ، قال : وما أقول فيمن ان جاع ضرع وان شبع بغى وطغى . وقال بعض الحكماء : لايكون الشرف بالنسب ، ألا ترى أن أخوين لأب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر ولو كان ذلك من قبــل النسب لما كان لاحد منهم على الآخر فضل . لان نســبهما واحد ، ولكن ذلك من قبل الافعــال . لان الشرف إنما هو بالفضل لا بالنسب قال الشاعر :

أبوك أبى والجد لا شــك واحد
ولكننــا عودان آس وخــروع

وبلغنا عن المدائنى قال : ليس السؤدد بالشرف ، وقد ساد الاحنف بن قيس بحلمه وحصين بن المنــذر برأيه ومالك بن مسمع بمحبته فى العامة وسويد بن منجوف بعطفه على أرامل

قومه ، وساد المهلب بن أبى صفرة بجميع هذه الخصال . وأما التشرف بالدين فالحديث المعروف عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أتاه اعرابى فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله من أكرم الناس حسنا ؟ قال : أحسنهم خلقا وأفضلهم تقوى، فانصرف الاعرابى ، فقال ردوه ، ثم قال يا أعرابى ، لعلك أردت أكرم الناس نسبا ، قال : نعم يا رسول الله ، قال : يوسف الصديق صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله .. فأين مثل هؤلاء الآباء فى جميع الدنيا ما كان مثلهم ولا يكون مثلهم أحـــد أبدا ، وقال الشاعر فى ذلك :

ولم أر كالاسباط أبنـــاء والـــــد
ولا كأبيهم والدا حين ينســــــب

قال : ودخل عيينة بن حصن الفزارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب له فقال : أنا ابن الاشـــياخ الاكارم فقال صلى الله عليه وسلم : « أنت اذن يوسف صديق الرحمن عليه السلام ، ابن يعقوب اسرائيل الله أو اسحق ذبيح الله ابن خليل الله » . وقال صلى الله عليه وسلم : « خير البشر آدم وخير العرب محمد وخير الفرس سلمان الفارسى وخير الروم صهيب وخير الحبشة بلال » قال : وسمع عمر بن الخطـاب وهو خليفة صوتا ولفظا بالباب فقال لبعض من عنده : أخرج فانظر من كان من المهاجرين الاولين فأدخله ، فخرج الرسول فوجد بلالا وصهيبا وسلمان فأدخلهم وكان أبو سفيان بن حرب وسهيل فى عصابة من قريش جلوسا على الباب فقال: يا معشر قريش ، أنتم صناديد العرب وأشرافها وفرسانها بالباب ، ويدخل حبشى وفارسى وورومى ، فقال سهيل : يا أبا سفيان أنفسكم فلوموا ولا تذموا أمير المؤمنين دعى القـــــوم فأجابوا ودعيتم فأبيتم وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلا ، فقال أبو سفيان : لا خير فى مكان يكون فيـــــه بلال شريفا (ملتة صناعات الاشراف) فانه روى أن أبا طالب كان يعالج

العطر والبز ، وأما أبو بكر وعمر وطلحة وعبدالرحمن بن عوف فكانوا بزازين ، وكان سعد بن أبي وقاص يعذق النخل، وكان أخوه عتبة نجارا ، وكان العاص بن هشام أخو أبي جهل بن هشام جزارا ، وكان الوليد بن المغيرة حدادا ، وكان عقبة بن أبي معيط خمارا ، وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت خياطا ، وكان أبو سفيان بن حرب يبيع الزيت والادم ، وكان أمية بن خلف يبيع البرم ، وكان عبد الله بن جدعان نخاسا ، وكان العاص بن وائل يعالج الخيل والابل ، وكان جرير بن عمرو وقيس أبو الضحاك بن قيس ومعمر بن عثمان وسيرين بن محمد بن سيرين كانوا كلهم حدادين ، وكان المسيب أبو سعيد زيان ، وكان ميمون بن مهران بزازا ، وكان مالك بن دينار وراقا ، وكان أبو حنيفة صاحب الرأى خزازا ، وكان مجمع الزاهد حائكا ، قيل : اتخذ يزيد بن المهلب بستانا فى داره بخراسان ، فلما ولى قتيبة بن مسلم جعله لابله فقال مرزبان مرو : هذا كان بستانا وقد اتخذته لابلك ، فقال قتيبة : أبى كان اشتريان وكان أبو يزيد يستانبان فمنها صار كذلك . قال وذكروا ان المأمون ذكر أصحاب الصناعات فقال : السوقة سفل والصناع أنذال والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس والناس أربعة : أصحاب الحرف وهى امارة وتجارة وصناعة وزراعة فمن لم يكن منهم صار عيالا عليهم .

٢٣ ـ محاسن الثقة بالله سبحانه

قيل : خطب سليمان بن عبد الملك فقال : الحمد لله الذى أنقذنى من ناره بخلافته . وقال الوليد بن عبد الملك : لأشفعن للحجاج بن يوسف وقرة بن شريك عند ربى وقال الحجاج : يقولون مات الحجاج ما أرجو الخير كله الا بعد الموت والله ما رضى الله البقاء الا لاهون خلقه عليه ، أليس ابليس اذ قال : « رب أنظرني الى يوم يبعثون . قال : فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم » . وقال أبو جعفر المنصور : الحمد لله

الذى أجارنى بخلافته وأنقذنى من النار بها • وحدثنى ابراهيم ابن عبد الله عن أنس بن مالك قال: دخلنا على قوم من الانصار وفيهم فتى عليل فلم نخرج من عنده حتى قضى نحبه فاذا عجوز عند رأسه فالتفت اليها بعض القوم فقال : استسلمى لامر الله واحتسبى • قالت : أمات ابنى ؟ قال : نعم • قالت : أحق ما تقولون ؟ قلنا : نعم • فمدت يدها الى السماء وقالت : اللهم انك تعلم أنى أسلمت لك وهاجرت الى نبيك محمد صلوات الله عليه رجاء أن تغيثنى عند كل شدة فلا تحملنى هذه المصيبة اليوم ، فكشف ابنها الذى سجيناه وجهه وما برحنا حتى طعم وشرب وطعمنا معه •

(ضده)

قال عيسى بن مريم صلوات الله ، تعالى عليه : يا معشر الحواريين ان ابن آدم مخلوق فى الدنيا فى أربع منازل : هو فى ثلاث منها واثق وهو فى الرابعة سيىء الظن يخاف خذلان الله اياه ، فأما المنزلة الاولى فانه خلق فى ظلمات ثلاث : ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة فوفاه الله رزقه فى جوف البطن فاذا أخرج من ظلمة البطن وقع فى اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيد ولا ينهض اليه بقوة ، بل يكره اليه اكراها ويوجر ايجارا حتى ينبت عليه لحمه ودمه ، فاذا ارتفع عن اللبن وقع فى المنزلة الثالثة من الطعام من أبويه يكسبان عليه من حلال وحرام ، فان ماتا عطف عليه الناس هذا يطعمه وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه فاذا وقع فى المنزلة الرابعة واشتد واستوى وكان رجلا خشى أن لا يرزق فيثب على الناس فيخون أماناتهم ويسرق أمتعتهم ويغصبهم أموالهم مخافة خذلان الله تعالى اياه •

٢٤ ـ محاسن طلب الرزق

قال عمرو بن عتبة : من لم يقدمه الحزم أخره العجز • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تبارك وتعالى

« يا ابن آدم أحدث لى سفرا أحدث لك رزقا » ، وفي بعض الحديث « سافروا تغنموا » ، وقال الكميت بن زيد الاسدى :

ولن يزيح هموم النفس ان حضرت
حاجات مثلك الا الرحل والجمل

وقال أبو تمام الطائى :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق
لديباجيه فاغترب تتجدد
فانى رايت الشمس زيدت محبة
الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

وقال بعض الحكماء : لا تدع الحيلة فى التماس الرزق بكل مكان ، فان الكريم محتال ، والدنيء عيال ، وأنشد :

فسر فى بلاد الله والتمس الغنى
تعش ذا يسار او تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم
وكيف ينام الليل من كان معسرا

وتقول العامة : كلب جوال خير من أسد رابض ، وتقول : من غلى دماغه صائفا غلت قدره شاتيا . ووقع عبدالله بن طاهر : من سعى رعى ومن لزم المنام رأى الأحلام ، هذا المعنى سرقه من توقيعات أنو شروان فانه يقول : هرك روذ جرد هرك خسبد خواب ببند ، وأنشد :

كفى حزنا ان النوى قذفت بنا
بعيدا وأن الرزق اعيت مذاهبه
ولو اننا اذ فرق الدهر بيننا
غنى واحد منا تمول صاحبه
ولكننا من دهرنا فى مؤونة
يكالبنا طورا وطورا نكالبه

وقال آخر :

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا
من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا او ينـــال غنيمـــة
ومبلغ نفس عذرها مثل منجـــح

وقال آخر :

وليس الرزق عن طلب حثيـــث
ولكن أدل دلـــوك فى الـــدلاء
تجئك بملئها حينـــا وطـــورا
تجىء بحمأة وقليـــل مـــاء

(ضده)

قيل : وجد فى بعض خزائن ملوك العجم لوح من حجارة مكتوب عليه : كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو ، فان موسى عليه السلام خرج ليقبس نارا ، فنودى بالنبوة . وبلغنا عن ابن السماك أنه قال : لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمـل المفروض ، وكن اليوم مشغولا بما أنت مسئول عنه غدا واياك والفضول فان حسابها يطول

قال الشاعر :

انى علمت وعلم المـــرء ينفعـــه
ان الذى هو رزقى ســوف ياتينى
أســـعى له فيعنينى تطلبـــه
ولو قعـــدت أتـــانى لا يعنينى

وقال آخر :

لعمرك ما كل التعطل ضـــائر
ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى
عليـــك سواء فاغتنم لذة الدعه

وقال آخر :

سهل عليك فان الرزق مقـــدور
وكل مستانف فى اللوح مسطور

اتى القضاء بما فيه لمدته
وكل ما لم يكن فيه فمحظور
لا تكذبن فخير القول اصدقه
ان الحريص على الدنيا لمغرور

وقال آخر :

لا تعتبن على العباد فانما
يأتيك رزقك حين يؤذن فيه

وقال آخر :

هى المقادير تجرى فى اعنتها
فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريش خسيس القوم ترفعه
دون السماء ويوما تخفض العالى

وقال آخر :

اصبر على زمن جم نوائبه
فليس من شدة الا لها فرج
تلقاه بالامس فى عمياء مظلمة
ويصبح اليوم قد لاحت له السرج

وقال آخر

الا رب راج حاجة لا ينالها
وآخر قد تقضى له وهو آيس
يجول لها هذا وتقضى لغيره
فتأتى الذى تقضى له وهو جالس

وقال آخر

فلما ان عنيت بما الاقى
وأعيتنى المسائل بالقروض
دعوت الله لا أرجو سواه
ورب العرش ذو فرج عريض

وقال آخر

يا صـــاحب الهم ان الهم منفـــرج
ابشر بخير كأن قد فـــــرج الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبـــــه
لا تيأس فان الصـــــــانع الله
اذا ابتليت فثـــق بالله وارض به
ان الذى يكشـــف البلوى هو الله

وقال آخر

واذا تصـبك من الحـــوادث نكبـة
فاصبر فكل بليــــة تتكشـــف

٢٥ ـ محاسن المواعظ

قال الاصمعى : حججت فنزلت ضرية ، فاذا اعرابى قد كور عمامته على رأسه وقدتنكبقوسا ، فصعدالمنبر فحمد اللهوأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس انما الدنيا دار ممر والآخرة دار مفر ،فخذوا من ممركم لمقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم • أما بعد فانه لن يستقبل أحد يوما من عمره الا بفراق آخر من أجله ، فاستعجلوا لانفسكم لما تقدمون عليه لا لما تظعنون عنه ، وراقبوا من ترجعون اليه فانه لا قوى أقوى من خالق ، ولا ضعيف أضعف من مخلوق ، ولا مهرب منالله الا اليه ، وكيف يهرب من يتقلب بين يدى طالبه « وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » وقال بعض الاعراب : ان الموت ليقتحمعلى بنى آدم كاقتحام الشيب على الشباب ، ومن عرف الدنيا لم يفرح بها فهو خائف ولم يحزن فيها على بلوى ولا طالب أغشم من الموت ، ومن عطفعليه الليل والنهار أردياه ، ومن وكل به الموت أفناه • وقال أعرابى كيف يفرح بعمر تنقصه الساعات وبسلامة بدن معرض للآفات ؟ لقد عجبت من المرء يفر من الموت وهو سبيله ولا أرى أحــدا الا

استدركه الموت ، وقيل وجد فى كتاب من كتب بزرجمهر صحيفة مكتوب فيها : انحاجة إلله الى عباده أن يعرفوه فمن عرفه لم يعصه طرفةعين كيف البقاء مع الفناء وكيف يأس المرء على ما فاته والموت يطلبه .. وحضرت الوفاة رجلا من حكماء فارس فقيل له : كيف حالك ؟ قال : كيف يكون حال من يريد سفرا بعيدا بغير زاد ويقدم على ملك عادل بغير حجة ويسكن قبرا موحشا بغير أنيس ؟

(ضده)

قيل : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع أبوه عليه جزعاشديدا فقال ذات يوم لمن حضره : هل من منشد شعرا يعزينى به أو واعظ يخفف عنى فأتسلى به ؟ فقال رجل من أهل الشام : يا أمير المؤمنين كل خليل مفارق خليله بأن يموت أو يذهب الى مكان ، فتبسم عمر بن عبد العزيز وقال : مصيبتى فيك زادتنى انى مصيبتى مصيبة . وأصيب الحجاج بن يوسف بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال: ليت انى وجدت انسانا يخفف عنى مصيبتى،فقال له الرسول: أقول ، قال : قل ، قال : كل انسان مفارق صاحبه بموت أو بصلب أو بنار تقع عليه أو يكون شىء لا يعرفه ، فضحك الحجاج وقال :مصيبتى فى أمير المؤمنين أعظم حين وجد مثلك رسولا

٢٦ ـ محاسن فضل الدنيا

قال على ابن أبى طالب كرم الله وجهه : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار عافية لمن لهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها، مسجد أنبياء الله ، ومهبط وحيه ، ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه يكسبون فيها الرحمة ، ويربحون فيها الجنة ، فمن ذا يذمها ؟ وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وشوقت بسرورها الى السرور وببلائها الى البلاء تخريفا وتحذيرا

وترغيبا وترهيبا ، فيأيها الذام للدنيا المفتتن بغــــرورها متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحـــت الثرى ؟ كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبتغى لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء وتلتمس لهم الدواء؟ لم تنفعهم بطلبتك ولم تشفعهم بشفاعتك ولم تستشفعهم باستشفائك بطبـك مثلت بهم الدنيا مصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ولا يغنى عنك أحباؤك ، ثم التفت الى قبور هناك فقال : يا أهل الثراء والعز ، الازواج قد نكحت والاموال قد قسمت والدور قد سكنت هذا خير ما عندنا ، فما خير ما عندكم ، ثم قال لمن حضر والله لو أذن لهـــم لأجابوا بأن خير الزاد التقـــوى وأنشد :

ما أحسن الدنيا واقبالهــــا ... اذا أطاع الله من نالهــــا
من لم يواس الناس من فضلها ... عرض للادبار اقبالهــــا

قال أبو حازم : الدنيا طالبة ومطلوبة طالب الدنيا يطلبــه الموت حتى يخرجه منها ، وطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفيه رزقه • وقال الحسن البصرى : بينا أنا أطوف بالبيت اذا أنا بعجوز متعبدة ، فقلت : من أنت ؟ قالت: من بنات ملوك غسان، قلت : فمن أين طعامك ؟ قالت : اذا كان آخر النهار جاءتنى امرأة متزينة فتضع بين يدى كوزا من ماء ورغيفين ، قلت لها: أتعرفينها ؟ قالت : اللهم لا قلت : هى الدنيا خدمت ربك جل ذكره فبعث اليك الدنيا فخدمتك •

(ضعيه)

زعموا أن زياد بن أبيه مر بالحيرة فنظر الى دير هناك فقال لخادمه : لمن هذا ؟ قيل له هذا دير حرقة بنت النعمان بن المنذر فقال : ميلوا بنا اليه نسمع كلامها ، فجاءت الى وراء الباب فكلمها الخادم فقال لها : كلمى الامير : فقالت : أأوجز أم أطيل ؟ قال : بل أوجزى • قالت : كنا أهل بيت طلعة الشمس علينا وماعلى الارض أحد أعز منا وما غابت تلك الشمس حتى

رحمنا عدونا قال : فأمر لها باوساق منشعير فقالت :أطعمتك يد شبعاء جاعت ولا أطعمتك يد جوعاء شبعت ، فسر زياد بكلامها ، فقال لشاعرمعه : قيد هذا الكلام ليدرس فقال :

سل الخير اهل الخير قدما ولا تسل
فتى ذاق طعم الخير منذ قريب

ويقال : ان فروة بن اياس بن قبيصة انتهى الى دير حرقة بنت النعمان فألفاها وهى تبكى فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : ما من دار امتلأت سرورا الا امتلات بعدذلك قبورا ثم قالت :

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا
اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فاف لدنيا لا يدوم نعيمها
تقلب تارات بنا وتصرف

قال : وقالت حرقة بنت النعمان لسعد بن أبى وقاص : لا جعل الله لك الى لئيم حاجة ولا زالت لكريم اليك حاجة ، وعقد لك المنن فى أعناق الكرام ، ولا أزال بك عن كريم نعمة ولا أزالها بغيرك الا جعلك سببا لردها عليه . قال : وقال عبد الملك بن مروان لسلم بن يزيد الفهمى : أى الزمان أدركت أفضل ، وأى ملوكه أكمل ؟ قال : أما الملوك فلم أر الا ذاما وحامدا ، وأما الزمان فرفع أقواما ووضع آخرين وكلهم يذم زمانه لانه يبلى جديدهم ويهرم صغيرهم ، وكل ما فيه منقطع الا الامل ، قال : فاخبرنى عن فهم ، قال : هم كما قال الشاعر :

درج الليل والنهار على فهـ ... ـم بن عمرو فاصبحوا كالرميم
وخلت دارهم فاضحت قفارا ... بعد عز وثروة ونعيم
وكذاك الزمان يذهب بالنا ... س وتبقى ديارهم كالرسوم

قال : فمن يقول منكم :

رأيت الناس مذ خلقوا وكانوا ... يحبون الغنى من الرجال
وان كان الغنى أقل خيرا ... بخيلا بالقليل من النوال
فلا ادرى علام وفيم هذا ... وماذا يرتجون من المحال
الدنيا فليس هناك دنيا ... ولا يرجى لحادثة الليالى

قال : أنا وكتمتها • قال ولما دخل على صلوات الله عليه المدائن فنظر الى ايوان كسرى أنشد بعض من حضره قول الاسود بن يعفر :

ماذا يؤمل بعد آل محرق — تركوا منازلهم وبعد اياد
أهل الخورنق والسدير وبارق
والقصر ذى الشرفات من سنداد
نزلوا بانقرة يسيل عليهم — ماء الفرات يجىء من أطواد
ارض تخيرها لطيب نسمها — كعب بن مامة وابن أم دؤاد
جرت الرياح على محل ديارهم — فكأنما كانوا على ميعاد
فاذا النعيم وكل ما يلهى به — يوما يصير الى بلى ونفاد

وقال على صلوات الله عليه : أبلغ من ذلك قول الله تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين »

وقال عبد الله بن المعتز : أهل الدنيا كركب يساربهم وهم نيام وقال غيره : طلاق الدنيا مهر الجنة • وذكروا أن أعرابيا ذكر الدنيا ، فقال : هى جمة المصائب رنقة الشارب • وقال آخر : الدنيا لا تمتعك بصاحب • قال أبو الدرداء : من هوان الدنيا على الله تعالى انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ماعنده الا بتركها • وقال : اذا أقبلت الدنيا على امرىء أعارته محاسن غيره ، واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه • وقال الشاعر :

أيا دنيا حسرت لنا قناعا — وكان جمال وجهك فى النقاب
ديار طالما حجبت وعزت — فاصبح اذنها سهل الحجاب
وقد كانت لنا الايام ذلت — فقد قرنت بأيام صعاب
كأن العيش فيها كان ظلا — يقلبه الزمان الى ذهاب

قال الاصيمعى : وجد فى دار سليمان بن داود عليه السلام على قبته مكتوبا :

ومن يحمد الدنيـــا لشيء يسره
فسوف لعمرى عن قريب يلومهـــا
اذا أدبرت كانت على المـــرء حسرة
وان أقبلت كانت كثـــيرا همومها

وكان ابراهيم بن أدهم ينشد :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننـــا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقـــع

وقال أبو العتاهية :

يا من ترفع بالدنيا وزينتها ليس الترفع رفع الطين بالطين
اذا أردت شريف القوم كلهم فانظر الى ملك فى زى مسكين
ذاك الذى عظمت فى الناس همتـه
وذاك يصـــلح للدنيا وللدين

وقال آخر :

هب الدنيا تساق اليك عفوا أليكس مصير ذاك الى زوال

وقال محمود الوراق :

هى الدنيا فلا يغررك منهـــا مخائل تستفز ذوى العقول
أقل قليلها يـكفيك منهـــا ولكن لســت تقنع بالقليل
تشـــيد وتبتنى فى كل يوم وأنت على التجهز للرحيـــل
ومن هـــذا على الايام تبقى مضاربه بمدرجة الســيول

وقال آخر :

دنيا تداولها العباد ذميمـــة شيبت باكره من نقيع الحنظل
وبنات دنيا ما تزال ملمـــة منها فجائع مثل وقع الجندل

وقال آخر :

حتى متى أنت فى دنياك مشتغل وعامل الله بالرحمن مشغول

وقال أبو نواس الحسن بن هانيء :

دع الحرص على الدنيـــا وفي العيش فلا تطمـــع
ولا تجمـــع لك المـــال فما تدرى لمن تجمـــع
ولا تـــــدرى افي ارضـــك أم في غـــيرها تصرع

قال الاصمعي : سمعت أبا عمرو بن العلاء وهو يقول : بينا أنا أدور في بعض البرارى اذا أنا بصوت :

وان امرءا دنيـاه أكثر همه لمستمسك منها بحبل غرور

فقلت : أئنسى أم جنى ؟ فلم يجبنى أحد فنقشته على خاتمى • قال وسمع يحيى بن خالد بيت العدوى في وصفه الدنيا :

حتوفها رصد وعيشها نكد وشربها رنق وملكهـا دول

فقال : لقد نظم في هذا البيت صفة الدنيا • قال وسمع المأمون بيت أبى نواس :

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشـــفت
له عن عدو في ثيـــاب صـــديق

فقال : لو سئلت الدنيا عن نفسها ما وصفت نفسها كصفة أبى نواس • وقيل للحسن البصرى : ما تقول في الدنيـــا ، قال : ما أقول في دار حلالها حساب وحرامها عقاب ، فقيـــل ما سمعنا كلاما أوجز من هذا ، قال : بلى كلام عمر بن عبد العزيز كتب اليه عدى بن ارطأة وهو على حمص قد تهدمت واحتاجت الى صلاح حيطانها ، فكتب اليه : حصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم والسلام •

٢٧ ـ محاسن الزهد

صمد بن الحسن عن أبى همام وكان قد عرف ضيغما قال : كنت معه في طريق مكة فلما بعدنا في الرمل نظر الى ما تلقى الابل من شدة الحر فبكى ضيغم ، فقلت : لو دعـوت الله أن يمطر علينا كان أخف على هذه الابل ، قال : فنظر الى السماء وقال : ان شاء الله فعل ، قال : فوالله ما كان الا أن تكلم

حتى نشأت سحابة فهطلت • وعن عطاء بن يسار أن أبا مسلم الخولاني خرج الى السوق بدرهم يشترى لاهله دقيقا، فعرض له سائل فأعطاه بعضه ثم عرض له سائل آخر فأعطاه الباقي، فأتي النجارين فملأ مزوده من نشارة الخشب وأتى منزله فالقاه وخرج عاريا من أهله فاتخذت المرأة المزود فاذا دقيق حوارى لم تر مثله فعجنته وخبزته ، فلما جاء قال : أين لك هذا ؟ قالت : الدقيق الذى جئت به • وعن أبي عبد الله القرشي عن صديق له قال : دخلت بئر زمزم فاذا بشخص ينزع الدلو مما يلي الركن ، فلما شرب أرسل الدلو فأخذته فشربت فضلته فاذا هو سويق لم أر أطيب منه ، فلما كانت القابلة في ذلك الوقت جاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه ونزع الدلو فشرب ثم أرسله فأخذته فشربت فضلته فاذا هو ماء مضروب بالعسل لم أر شيئا قط أطيب منه فأردت أن آخذ طرف ثوبه فأنظر من هو ففاتني ، فلما كان في الليلة الثالثة قعدت قبالة زمزم في ذلك الوقت فجاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه فنزع الدلو فشرب وأرسله وأخذته وشربت فضلته فاذا هو أطيب من الاول ، فقلت : يا هذا أسألك برب هذه البنية من أنت ؟ قال : تكتم على حتى أموت؟ قلت : نعم ، قال لى أنا سفيان الثورى وكانت تلك الشربة تكفينى اذا شربتها الى مثلها لا أجد جوعا ولا عطشا • وقال الاصمعى أرأيت اعرابيا يكدح جبهته فى الارض يريد أن تجعل سجادة فقلت ما تصنع ؟ قال : انى وجدت الاثر فى وجه الرجل الصالح •

وقال الشاعر :

كيف يبكى لمحبس فى طلول ... من سيقضى ليوم حبس طويل
ان فى البعث والحساب لشغلا ... عن وقوف برسم ربع محيل

وقال آخر :

ان الشقى الذى فى النار منزله ... والفوز فوز الذى ينجو من النار

يارب اسرفت في ذنبي ومعصيتي وقد علمت يقينا سوء آثاري
فاغفر ذنوبا الهي قد احطت بها رب العباد وزحزحني عن النار

وقال ذو الرمة :

تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

وقال أبو نواس :

أيا عجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة وتسكينة فاعلمن شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وقال أيضا :

سبحان من خلق الخلـ ـق من ضعيف مهين
يسوقهم من قرار الى قرار مكين
يجوز خلقا فخلقا في الحجب دون العيون
حتى بدت حركات مخلوقة من سكون

وقال آخر :

اخي ما بال قلبك ليس ينقى كانك ما تظن الموت حقا
الا يابن الذين مضوا وبادوا اما والله ما ذهبوا لتبقى
ومالك غير تقوى الله زاد اذا جعلت الى اللهوات ترقى

وقال آخر :

يا قلب مهلا وكن على حذر فقد لعمري امرت بالحذر
مالك بالترهات مشتغلا الى يديك الامان من سقر

وقال آخر :

ان كنت تؤمن بالقيامة واجترات على الخطيـ
فلقد هلكت وان جحد ت فذاك اعظم للبلية

وقال آخر :

وافنية الملوك محجبات وباب الله مبذول الفناء
فما ارجوسواه لكشف ضري ولا افزع الى غير الدعاء
ولا ادعو الى اللأواء كهفا سوى من لا يصم عن الدعاء

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني والاخير

قناة السويس

نبذة تاريخية :

ترجع فكرة وصل البحرين الابيض والاحمر بطريق مائى عبـــر برزخ السويس الى اربعين قرنا مضت عندما انشا فرعون مصر « سنوسرت » الثالث اول قناة حوالى سنة ٢٠٠٠ ق ٠ م ٠ ثم ردمت القناة بعد ذلك عدة مرات فتولى اعادة الملاحة فيها دارا الاول ملك الفرس ، ثم بطليموس الثانى ، ثم الامبراطور تراجان ، ثم عمر بن الخطاب بعد الفتح الاسلامى

وبدات اعمال حفر القناة الحالية فى ابريل سنة ١٨٥٩ وافتتحت الملاحة فيها فى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩

تأميم الشركة :

وفى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ اعلن الرئيس جمال عبد الناصر تاميم شركة قناة السويس فاعاد الى مصر حقوقها الشرعية ، وشهد العـــالم بكفاية الادارة المصرية

« مشروع ناصر »

كانت الشركة المؤممة قد وضعت برنامجا يهدف الى زيادة القطاع المائى من ١٢٥٠ الى ١٥٠٠ متر مربع ، فقررت الهيئة المصرية زيادته الى ١٨٠٠ مترمربع ثم بدات بتنفيذ « مشروع ناصر » الذى يهدف الى :

١ ــ ازدواج القناة باكملها
٢ ــ تعميقها بحيث تسمح بعبور السفن التى يبلغ غاطسها ٤٥ قدما ، وتتراوح حمولتها بين ٦٥٠٠٠ و ٧٠٠٠٠ طن
٣ ــ استعمال الرادار لضمان الرقابة على حركة السفن
٤ ــ تعزيز اسطول الهيئة باحدث الكراكات والقاطرات

تاثير القناة على التجارة العالمية :

ان قناة السويس تختصر طريق السفن بين بلاد الشرق وبلاد الغـــرب بتجنيبها الدوران حول القارة الافريقية ، وقد بلغ ما توفره من المسافة ٤٠ فى المائة

الجاحظ

* ولد في البصرة سنة (٧٧٥ م ـ ١٥٩ هـ) وتوفى فى سنة (٨٦٨ م ٢٥٥ هـ)

* كان يستأجر دكاكين الوراقين (المكتبات) ويبيت فيها للمطالعة ولم ينقطع عن طلب العلم بسبب فقره .

* كان جده يشتغل جمالا عند رجل من بنى كنانة ، وكان هو يبيع الخبز والسمك فى البصرة .

* عين رئيسا لديوان الرسائل فى قصر الخليفة المأمون ، واستقال بعد ثلاثة أيام لإن العمل فى دار الخلافة قيد حريته .

* سافر الى دمشق وانطاكية ومصر .

* ربح من كتاب (البيان والتبيين) خمسة الاف دينار ، وهوأكبر مبلغ ربحه كاتب عربى فى كتاب واحد حتى اليوم .

* كان مشوه الوجه ، ناتىء العينين ، قصير القامة ، بشع المنظر خفيف الدم .

* أصيب فى أوخر أيامه بالشلل والروماتزم .

* كان مغرما باللهو وسماع المغنيات ، ولم يتزوج

* اسمه . عمرو بن بحر بن محبوب . . ولقبه الجاحظ . . وكنيته أبو عثمان .

الكتاب العاشر الثم

الدار القومية للطباعة والنشر
شركة ذات مسئولية محدودة
٢ شارع طلعت حرب ـ القاهرة